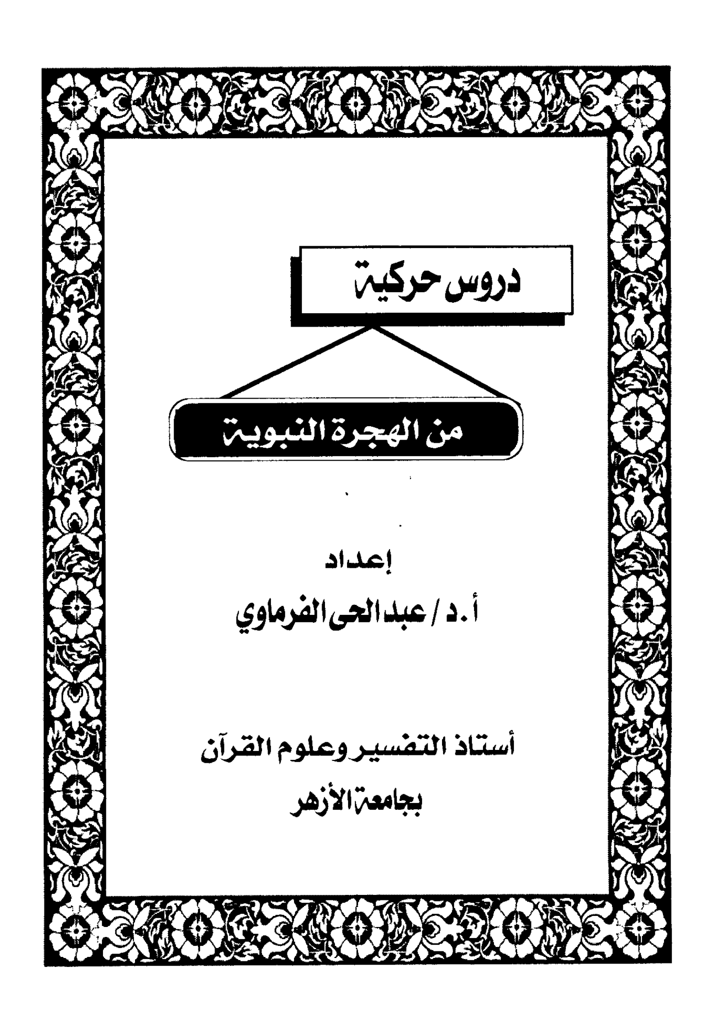


دروس حركية

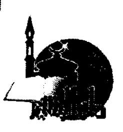
من الهجرة النبوية

إعداد

أ.د / عبدالحى الفرماوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بجامعة الأزهر



اسم الكتاب : دروس حركية من الهجرة النبوية.
التأليف : أ. د / عبد الحى الفرماوي.
الصف التصويرى : الندى للتجهيزات الفنية.
عدد الصفحات : 72 صفحة.
قياس الصفحة : 14 × 20
التوزيع والنشر : دار البشير للثقافة والعلوم - طنطا
تليفاكس 3316316 /040 - 0167467492
darelbasheer@hotmail.com
dar_elbasheer@yahoo.com
الإيداع القانونى : 20367 / 2007
الترقيم الدولى : I. S. B. M. 977 - 278 - 327 - 4

1429 هـ
2008 م

دروس حركية
من الهجرة النبوية



مقدمة

طال عرض أحداث السيرة النبوية بصفة عامة ، وأحداث الهجرة بصفة خاصة : للعظة والاعتبار .

وكثر استخراج الدروس من السيرة النبوية _ كذلك _ بصفة عامة ، ومن الهجرة النبوية بصفة خاصة : للاهتداء والإقتداء .

وأحسن في عرض هذا وذاك العلماء ، وأجاد في كتابة هذا وذاك الباحثون .

ولكن . . قلما تحولت هذه المواعظ والدروس إلى حركة في دنيا الناس وواقعهم . . !!

أو : قل : قلما تحولت دنيا الناس وواقعهم إلى الأفضل بسبب هذه المواعظ والدروس . !!

هل كان ذلك . .

لأن الناس ما التفتت في عصرها هذا إلى أحداث السيرة ودروس الهجرة . . ؟

أو أن الناس لم تحرك فيهم أحداث السيرة ودروس الهجرة ساكنا . . ؟

أو أن العرض _ وليست أحداث السيرة ودروس

الهجرة ــ لم يحرك ساكنهم ، ويأخذ بأيديهم إلى مواقع العمل والإفادة من هذه الأحداث وتلك الدروس ؟

أو أنهم ركنوا إلى الدعة ، وشغلتهم أفراحهم وأتراحهم ، وما عاد لديهم ــ بخصوص هذه الأحداث والدروس ــ ساكنا ولا متحركا . . ؟

أو أنهم قنعوا بإلقاء الملام ــ وهم رقود نيام في غياهب هذا السكون ــ على بعضهم البعض ، لعدم الإفادة ، وتغيير الواقع المر ، بفضل هذه الدروس ، التي تدق نواقيس التذكير والتحذير ، كلما مرت الأيام ، وتجدد عرض الأحداث . . ؟

أو . . ؟

أو . . ؟

* * *

على كل حال . .

هذه محاولة ، وليست عرضا للأحداث ، ولا سردا للدروس ، ولكنها : إيقاظ للنفوس ، وأخذ للأيدي والأقدام ، لمواقع الحركة ، وأدوات التغيير .

مع علمي ويقيني : أنها ستبوء بالفشل ، إذا لم يقترن

بها ، ويصاحبها : إخلاص في القصد ، وصدق في الأداء ، وعزيمة جادة في التغيير ، وتوفيق من الله تعالى أولا وأخرا . . . ! !

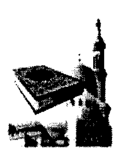
أقدمها _ أولا ، وبصفة خاصة _ إلى الحركة الإسلامية ، التي هي من الأمة بمثابة القلب الذي يضخ الدم في سائر أجزاء الجسم ، فيحفظ على هذه الأجزاء : حياتها ، ونماءها ، وتجددها ، رغم المؤثرات الخارجية والداخلية التي تؤثر على هذا الجسم من عوامل محيطة به ، في الزمان والمكان ، لتعيقه عن اليقظة والحركة والقيام بدوره ، وأداء رسالته ، وامتلاك الزمام

كما أقدمها _ ثانيا ، وبصفة عامة _ إلى الأمة الإسلامية ، التي هي خير أمة أخرجت للناس ، ذلك الجسم الكبير ، الذي تعمل فيه الحركة بصدق ، وتبذل بإخلاص ، وتضحي وتعطي وتدعو ، وتقدم بنفسها النموذج الذي ينبغي أن يحتذي : حتى يستيقظ هذا الجسم الكبير _ الأمة _ ويتحرك ، ويقوم بدوره ، ويؤدي رسالته ، ويمتلك الزمام .

كما أقدمها – ثالثا – بعد احتكاك بالحركة الإسلامية الواعية الصادقة الجادة المخلصة ، وقرب منها ، وفهم لها ،

وقناعة تامة ، بأنها الوحيدة المرشحة والمؤهلة لحسن فهم هذه الدروس ، وتوجيه وتطوير أدائها في العمل لرفع راية الإسلام ، وإعلاء شأن المسلمين على هدى منها ، وإفادة بها .

د. عبد الحي الفرماوي
www .Hadielislam.com
dr @ Hadielislam.com



مدخل للدروس

لم تكن الهجرة النبوية الشريفة حدثا عابرا في تاريخ الدعوة نحتفل به كل عام ، ولم يكن كذلك حادثا شخصيا يرتبط ذكره فقط بدراسة حياة صاحبه ﷺ . . ! !

بل كانت هذه الهجرة معلما بارزا في تاريخ هذه الدعوة وصاحبها عليه الصلاة والسلام ، وتحولا جوهريا في مسارها ، وبعثا جديدا في حياتها ، وتغييرا كليا في أسلوبها .

ولهذا وغيره : كانت دراسة الهجرة النبوية دراسة للدعوة ، وتكرار الدراسة ـ كل عام ، أو كل حين ـ تذكير بخط سيرها ، وعرض لواقعنا على أهدافها وغاياتها .

وبهذه الدراسة وتكرارها : نصحح مسارنا ، ونتذكر أهدافنا ، ونشحذ هممنا ، ونفهم ديننا ، ونحسن ـ بل نصوب ـ على أساسها واقعنا ، لنؤدي رسالتنا ، ونرضي ربنا

وسنتناول بعون الله تعالى ـ في هذه العجالة ـ الهجرة النبوية ـ فقط ـ من هذه الجوانب

(أ) الدوافع .

(ب) الحدث .

(جـ) النتائج .

(د) الدروس المستفادة .

أولا : الدوافع .

ونؤكد ـ مرة أخرى ـ على أن الدوافع لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة : لم تكن شخصية أبدا ، فلم يهاجر ﷺ رغبا ولا رهبا .

إذ أنه ما كان يرغب ﷺ عن بلد الله الحرام أبدا وهو الذي قال « **والله إنك لأحب أرض الله إلي ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت** » [1]

كما أنه ما هاجر منها رهبا وخوفا ، وهو الذي ما خاف قط ، حيث أنه في معية الله دائما ، وهو الذي يؤمن جيدا بقول الله تعالى له : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ [2] وتاريخ حياته يشهد بكل وضوح أنه كان أشجع الشجعان .

كما نؤكد على أن هذه الهجرة لم تكن حدثا عابرا مثل كثير من الأحداث التي يحفل بها تاريخ هذه الدعوة الكبيرة العالمية ، بدليل ما حدث بعدها ، من تحول في خط سير الدعوة ، وفي تشريعاتها ، وفي حياة أصحابها ، بل في أسلوب هذه الدعوة ووسائلها .

---

(1) رواه : أحمد والترمذي وصححه

(2) المائدة ٦٧

إذا . . فما الدوافع لهذه الهجرة النبوية . . ؟

الدوافع كثيرة . .

ولكننا نخص بحديثنا هنا أمرين فقط ، وهما :

١ ـ البحث عن أرض جديدة ، تمارس فيها هذه الدعوة علنا ، بكل حرية ، دونما خوف أو اضطهاد ، وتنتشر منها مبادئ هذا الدين العالمي في كل بلاد الله شرقا وغربا .

وذلك بعد هذا التكميم والتكتيم والتعتيم ، والاضطهاد والإيذاء ، الذي استمر ثلاثة عشر عاما بمكة دونما ازدياد في العدد ، أو في مساحة من الحرية لممارسة هذا الدين ، مع التضييق عليه وأهله ، والتنفير منه ، والإبعاد عنه ، والنيل من أصحابه .

٢ ـ إقامة هذا النظام الجديد ، في الواقع العملي ، والحياة اليومية للناس ، يرونه رأي العين ، ويعيشونه ، ويتفيأون ظلاله ، وينعمون بعدله ، ويتعبدون لله من خلال تشريعاته في دولة إسلامية ، تنشر مبادئه ، وتحمي أتباعه . حتى لا يكون هذا الدين نظريات كلامية ، دون مثال واقعي ، وتطبيق عملي يشهد بصحة هذا الدين وصلاحيته لقيادة الدنيا وأهلها .

وذلك بعد فقدان الأمل في إقامة هذا النظام وتأسيس الدولة الإسلامية في مكة .

كما أنه قد استوى هؤلاء الرجال الذين يقيمون هذا النظام ويؤسسون هذه الدولة من جهة : سلامة عقيدتهم ، ومتانة أخلاقهم ، وصحة عبادتهم ، وحسن معاملاتهم ، وشمول فهمهم لهذا الدين ، وبقاؤهم في مكة ــ على هذا الحال ــ دون إقامتهم للدولة الإسلامية ، أو إقامة الدولة الإسلامية بهم : تضييع لهذه الكفاءات ، وإهدار لهذه الطاقات .

ثانيا : الحدث

وحدث الهجرة ، أو حادث الهجرة ، أو حديث الهجرة : جد معروف .

فقد حفلت به كتب السنة ، وكتب السيرة ، وكتب التاريخ كذلك ، ولا نحب أن نطيل بإعادته .

ولكن : ننبه فقط ، إلى أنه لا يوجد في كتب التاريخ وكتب السير على الإطلاق ــ بشهادة المنصفين من الأعداء قبل الأصدقاء ــ أصدق ، ولا أدق ، ولا أثبت ، من سيرة محمد ﷺ .

ولذلك : فاستشهادنا ــ فيما يلي بأية فقرة ، أو أية معلومة ــ مما يخص موضوعنا ــ هو استشهاد بمعلومات صحيحة موثقة ، لا يشوبها غبار من شك ، أو ذرات من تزييف .

وبالتالي : فما يبنى عليه أساسه سليم ، وجذوره متينة ،

والعمل به واجب ، والإفادة منه _ بإذن الله تعالى _ محققه .

ثالثا : النتائج

لم تحقق هجرة في التاريخ _ على كثرة الهجرات _ أهدافها ، التي كانت الدافع إليها ، كما حققتها هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

بل لم تحقق هجرة في التاريخ أهدافا مثل تلك الأهداف والنتائج _ كما وكيفا _ مثل التي حققتها هجرة النبي ﷺ .

وسنتناول فقط هذين الهدفين أو الدافعين ، الذين ذكرناهما آنفا ، وهما : _

١ _ نشر الدعوة .

٢ _ إقامة الدولة الإسلامية .

أما بالنسبة للأول منهما : فقد بدأت الدعوة الإسلامية تنتشر في هذه الأرض الجديدة ، وبين هؤلاء القوم الجدد _ الذين شرح الله صدورهم ، وفتح قلوبهم ، وأزكى عقولهم ، لتعاليم هذا الدين ومبادئه فهما وتطبيقا _ بسرعة الريح ، منذ أن هاجر إليهم ، وأقام بينهم ، رسول رسول الله ﷺ ، مصعب بن عمير .

بل وصل الأمر قبل وصول النبي ﷺ إليها أن فشا الإسلام فيهم ، يقول ابن هشام « **لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر**

من رسول الله ﷺ » .[1]

أما بعد هجرة النبي ﷺ إليها فقد تغير الحال ، وطارت نسائم هذا الدين ، وانتشر أريجه في كل الأنحاء ، وطوفت في البلاد بعوث النبي ﷺ ، وسافر القراء والمعلمون لهذا الدين في أرجاء شبه الجزيرة العربية ، وعلم القاصي والداني بأمر هذا الدين الجديد ، بل علم العدو والصديق مبادئ وتعاليم هذا الدين الجديد .

ولم تمض عدة سنوات في هذا البلد الجديد والوطن الوليد ، حتى صار نور الدين فيه يجذب الناس إليه ، ويشدهم لعدله وهدايته وخيره ، حتى إنه من كثرة هؤلاء القادمين إليه ، والداخلين فيه : سمي العام التاسع من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم « **بعام الوفود** » الذين جاؤا بأنفسهم وباختيارهم إلى المدينة ، لاعتناقهم الإسلام ، وإعلانهم الانضواء تحت لوائه ، وحملهم مبادئه وتعاليمه لأقوامهم وبلادهم .

وصدق الله إذ يقول : «**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** »[2]

وتحقق قول الرسول ﷺ : «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار . ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز** ، أو

(1) السيرة النبوية (القسم الأول) ص ٤٣٠
(2) التوبة ٣٣ ، الفتح ٢٨ ، الصف ٩

بذل ذليل ، عـزا يعـز الله به الإسـلام ، وذلا يذل به الكفـر . .» الحديث [1]

بل دخل بلاد كسرى وقيصر ، وأنار جنباتها ، وأنقذ شعوبها من ذل الاستعباد إلى عز الخضوع لرب العباد ، تحقيقا لما أخبر به النبي ﷺ ، وهو يحفر الخندق مع أصحابه لحماية المدينة من الأعداء ، إذ يقول البراء : « **لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صـخرة لا تأخذ منها المعاول ، فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ ، فجاء ، وأخذ المعول ، فقال : باسم الله . .» !!**

ثم ضرب ضربة ، وقال : الله أكبر . . **!! أعطيت مفاتيح** الشام ، والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة .

ثم ضرب الثانية : فقطع آخر ، فقال : الله أكبر . . **!!** أعطيت فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن .

ثم ضرب الثالثة : فقال : باسم الله . فقطع بقية الحجر ، «**فقال : الله أكبر . . !! أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني . »** [2]

كما بشر النبي ﷺ أن نور هذا الدين سينتشر ويعم أكثر

---

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١ / ٧ . وقال : رواه ابن حبان وصححه .

(2) رواه : أحمد في مسنده ، والنسائي ٢ / ٥٦ (نقلا عن المنهج الحركي للسيرة ٣٤٤ ، ٤٢١)

وأكثر ، حتى يبلغ مشارق الأرض ومغاربها ، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه قوله ﷺ « **إن الله قد زوى لي الأرض ــ أي جمع وضم ــ فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها . .** » الحديث [1]

وقد تحقق بعض ذلك . . !!

وقريبا يتحقق ــ بإذن الله تعالى ــ كل ذلك . . !!

وبذلك : تحقق الهدف الأول ، وظهرت جلية بفضل الله تعالى واحدة من أبرز نتائج الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

أما بالنسبة للثاني منهما : فقد بدأ يتحقق بالمدينة ما لم يتحقق لهذه الدعوة بمكة المكرمة ، بل ما كان يمكن أن يتحقق فيها ، من إقامة الدولة الإسلامية ، وترسيخ دعائمها ، ووضوح معالمها ، وتأسيس أركانها .

وأركان الدولة ــ كما يقولون ــ أربعة : ــ

أ ــ الأرض .

ب ــ والشعب .

جـ ــ والقانون .

---

(1) رواه : مسلم ٨/ ١٧١ ، أبو داود ٤/ ٩٧ ، الترمذي ٢/ ٢٧ وقال صحيح ، الإمام أحمد ٥/ ٢٧٨

د ـ والحاكم .

وفي المدينة بدأت هذه الأركان تتضح لدولة الإسلام الجديدة .

فالأرض . . أصبحت ملكا للمسلمين ، لهم الغلبة والأغلبية ـ مهاجرين وأنصارا ـ فيها ، ولهم ـ كذلك ـ السيادة عليها ، وقد تم الاعتراف بها وطنا إسلاميا ، وعاصمة لدولة الإسلام الجديدة ، من الجميع ، وحتى الأعداء بعد غزوة الخندق ، حينما أخبر عنهم المولى سبحانه وتعالى بقوله : « **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا** » [1] وكشف ما في نفوسهم ﷺ بقوله « **الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم** » [2]

وتحقق بذلك : ركن الأرض .

والشعب . . صار المسلمون أكثرية في المدينة وغيرهم الأقلية ، بعد أن كانوا في مكة هم الأقلية وغيرهم الأكثرية ، بل صارت هذه الأكثرية عددا يفوق الحصر ، وكيفا يفوق الوصف ، من حب هذا الدين ، والالتزام بتعاليمه ، والعمل بأحكامه ، والالتفاف حول نبيه ﷺ ، وأحسوا بطعم الاستقلالية في وطنهم ، ونشروا منه دينهم ، وافتدوه ودافعوا عنه ، ـ وعن حرماتهم فيه ـ بأرواحهم .

---

(1) الأحزاب ٢٥

(2) صحيح البخاري كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق

وتحقق بذلك : ركن الشعب .

أما القانون . . فلا قانون يدانيه «**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**» [1]

ولئن كان هذا القرآن هو الذي كان ينزل بمكة قبل الهجرة : فقد تغير خطه ومنهجه وأسلوبه بعد الهجرة عنه قبل الهجرة . . إذ صارت سوره وآياته تتجه لبناء الدولة ، وتوضيح معالم النظام في جميع جوانب الحياة ، وما تحتاجه من تشريعات ، سواء أكان ذلك في المعاملات المالية ، أم في الشئون الاجتماعية ، أو الأسرية ، أو العسكرية ، أو التربوية ، أو . . ، أو . . الخ بجانب ما يتصل بالعقيدة ، والأخلاق ، والعبادات كذلك .

وقد هيمن هذا القانون على القلوب قبل الأجساد والعقول ، وهرع الناس إليه لا هربا منه ، والتزم الجميع به بدل الإهمال له ، حتى صار هذا القانون : ربيع قلوبهم ، وجلاء أبصارهم ، وبه ومنه وفيه ذهاب همومهم وغمومهم « **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** » [2]

وأما الركن الرابع من أركان إقامة الدولة فقد كان هو الذي تحيط به القلوب ، وتفتديه الأرواح ، ويسعد بإتباعه الجميع . . وهو محمد ﷺ ، خير الأئمة ، وإمام حكام العدل ، وسيد المرسلين ﷺ .

---

(1) الإسراء ٨٨ (2) الإسراء ٩

«فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما» [1]

وبذلك : تحقق الهدف الثاني ، وظهرت جلية بفضل الله تعالى ، واحدة أخرى من أبرز نتائج الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة ، أزكى السلام .

* * *

وعلى هذا : تحققت أهداف الهجرة النبوية ، وظهرت بفضل الله تعالى للدنيا _ وعلى

الدنيا _ كلها ، نتائجها الباهرة وآثارها العظيمة .

بقيت _ وستبقى _ قضية الإفادة منها ، لنواجه ما يعيق الحركة الإسلامية _ ويبعد الأمة

عن اليقظة ، والحركة ، والقيام بالدور ، وأداء الرسالة ، وامتلاك الزمام .

وهذا _ ما نحاول التعرض له في الدروس التالية ، سائلين المولى سبحانه : الصدق ،

والإخلاص ، ووضوح العرض ، وحسن القبول ، وبلوغ الغاية .

---

(1) النساء ٦٥


الدروس

تمهيد

نحب أن نلفت الانتباه من البداية ، إلى أن دروس الهجرة التي يستفيدها المسلم عموما ، وآلتي ينبغي أن تنتهجها الحركة الإسلامية خصوصا :

أ _ كثيرة وفيرة . . سواء للفرد ، أو للأسرة ، أو للجماعة ، أو للأمة بأسرها .

ب _ ولا يمكن أن يحيط بها كاتب فرد ، مهما أوتي من : قوة الفهم ، وبلاغة القول ، ونصاعة البيان .

ج _ ولا تنتهي على مر الزمان ، ولا تبلى _ كذلك _ من الإعادة ، أو كر الليالي والأيام .

د - وأنه كلما حاولت الأمة ، أفرادا أو جماعات بصدق وإخلاص _ الإفادة منها ، والعمل بها _ مهما اختلفت العصور ، وتنوعت البيئات _ رزقها الله تعالى _ بالجديد فيها ، وأنعم عليها بالمفيد منها .

وما محاولتنا هنا لعرض بعض الدروس : إلا غيض من فيض ، وقطرة من بحر ، ورغبة في الإقتداء ، وطمع في الإفادة بها والاهتداء .

ومن هذه الدروس ، ما يلي : _

الدرس الأول

(مصدر عزة المسلم)

إن عزة المسلم : في التزامه بشرع الله تعالى ، ومرضاته الدائمة الواعية له سبحانه ، وإحساسه الصادق بمعيته عز وجل ، وثقته في نصره سبحانه لأوليائه . وحمايته لهم من كيد أعدائهم .

فهذا رسول الله ﷺ يوم الهجرة _ وهو يعلم جيدا أن القوم يريدون الفتك به ، ويخططون للخلاص منه ، ولكنه – كان رابط الجأش ، ثابت الفؤاد ، ثاقب النظر ، جيد التخطيط ، هادئ التفكير ، حسن الإعداد والاستعداد . وما ذلك وغيره : إلا لأنه كان يستصحب معونة الله ، ويستعين بقدرته سبحانه ، ويشعر ، بل تغمره ﷺ معية الله ، حتى لكأنه لا يرى القوم ، ولا يشعر بهم ، بل صار لا يعبأ بمكرهم ، ولا يهتز لغليانهم وهياجهم .

«إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها » [1]

وفي صحيح البخاري . . عن أبي بكر قال : « **كنت مع**

---

(1) التوبة ٤٠

النبي ﷺ في الغار ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت : يا نبي الله . . ! ! لو أن بعضهم طأطأ بصره : رآنا ، قال : اسكت يا أبا بكر ، اثنان الله ثالثهما » [1]

طمأنينة لا حدود لها ، نابعة من دوام ذكر الله ، مبنية على ثقة مطلقة في معية الله ونصره .

وكان فزع أبي بكر _ لا على نفسه ، بل _ على رسول الله ﷺ ، بسبب أن الكفار _ من هول صدمتهم من هذا الخروج العجيب ، من بين أيديهم ، وسيوف فتيانهم ، وشدة بحثهم ، وكثرة انتشارهم _ وصل بعضهم إلى المكان الذي اختبأ فيه ، منهم ، النبي ﷺ وصاحبه .

ولكن الله تعالى : يحمي من يحتمي به ، ويعين من يستعين به ، ويستجيب لمن يدعوه ، ويطمئن من يذكره ، ويعز من يعتز به .

«في رواية للإمام أحمد » [2] . . عن أسماء بنت أبي بكر ، رضي الله عنهما ، قالت : فهيأنا لهم سفرة . . . وخرجوا يطوفون في جبال مكة ، حتى انتهوا إلى الجبل الذي هما فيه ، فقال أبو بكر لرجل مواجه الغار : يا رسول الله ، إنه ليرانا ،

(1) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة

(2) نقلا عن " المنهج الحركي للسيرة النبوية " منير محمد الغضبان ص ١٩٢

فقال : كلا إن الملائكة تسترنا بأجنحتها ، فجلس ذلك الرجل ، فبال مواجهة الغار ، فقال رسول الله ﷺ : لو كان يرانا ما فعل هذا .

ولذلك : فما على المسلمين بعامة ، والحركة الإسلامية بخاصة _ إذا أحسنوا الالتزام بشرع الله ، فهما وسلوكا ، وأجادوا الإتباع لرسول الله ﷺ ، وأتقنوا التخطيط ، وأجادوا الاستعداد ، وبذلوا كل ما في وسعهم ، وأخلصوا في الاستعانة بالله تعالى ، وصدقوا في التوكل عليه _ أن لا يخافوا من مكر أهل الأرض جميعا ، وأن لا يخشوا تفوق أسلحتهم ، ولا كثرة عددهم ، ولا حداثة آلاتهم ، ولا تنوع آلياتهم ؛ لأن الله تعالى يكون معهم . . بتأييده ، وطمأنينته ، ونصره ، وإعزازه .

يقول تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ (1)

ويقول سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (2)

ولهذا : فلا مجال لليأس عند من يستنصر بالله ، ولا مجال للهوان أو الذل عند من يعتز بالله سبحانه وتعالى .

(1) غافر ٥١

(2) المنافقون ٨

وما رأينا إنسانا اعتز بغير الله تعالى ، إلا أذله الله عز وجل وألقى به إلى غير مبتغاه .

وما رأينا شعبا اعتز بغير شرع الله وقانونه إلا ألبسه الله ثياب الجوع والخوف ، بعد الصغار والهوان والتبعية .

ومن هنا : لا يمكن أن تهتز ثقة المؤمن بنصر الله لبريق تفوق الأعداء ، إذا هو صدق في الاستعانة بالله عز وجل ، وجد في الاستعداد ، وبذل ما في الوسع ، وتسلح بالصبر البناء ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال ٦٦]

وليست هذه دعوة للتواكل والسلبية ، بل هي التنبيه على ضرورة ترجمة الاعتزاز بالله تعالى إلى عمل بناء ، يرفع الهامة ، ويشحذ الهمة ، ويجدد الثقة ، ويبني النفوس ، ويعين على المواجهة .

خاصة:

في هذا العصر الذي هرع فيه كثير من المنتسبين للإسلام إلى الشرق وإلى الغرب بحثا عن مصادر للعزة والقوة وعميت أبصارهم ، لا . . ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [1] عن الاعتزاز بالله تعالى .

---

(1) الحج ٤٦

وصدق الله إذ يمن علينا في هذا التنبيه « **أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا** »[1] لا يملكها سواه ، ولا ينعم على أحد بها إلا هو سبحانه وتعالى .

وإذا كان هذا المفهوم الإسلامي الواضح جيدا في دروس الهجرة ، قد غاب عن جموع المسلمين عامة : فإنه لا ينبغي أن يغيب عن الحركة الإسلامية بخاصة ، وعلى دعاة الحركة وقادتها أن تولي هذا المبدأ التربوي عناية كبيرة في نفسها أولا ، وفي تربية أبناء الحركة عليه ثانيا ، بغرض تكوين هذا الجيل الذي لا تهزه الصوارف ، ولا تصرفه الزخارف ؛ بسبب اعتزازه بالله تعالى ، ورغبته في مرضاته .

ويوم يوجد هذا الجيل : شيوخا وشبابا ، نساء ورجالا ، سيملك القوة ، ويزهو بعزة الله ، ويحسن القيادة ، وينشر العدل ، ويوجه العلم لخير أهل الأرض ، و. . ، و. . الخ .

وساعتها : ستنقاد لهم الدنيا ، ويتصاغر أمامهم الطغاة ، وتعنوا لهم وجوه الجبابرة .



(1) النساء ١٣٩

الدرس الثاني

(ليس الإسلام مذهبا فكريا)

ديننا دين عملي ، يقود لعمارة الكون ، وامتلاك ناصيته ، وإسعاد أهله ، في ظل الحق والعدل والسلام « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم» [1]

وليس دينا يهدف إلى أن يكون مذهبا فكريا ، أو عقديا ، يناطح الأفكار والنظريات فقط .

لا . . إن الهدف من ديننا ، هو : إقامة الإسلام عمليا ، وتطبيقه في دنيا الواقع ، وهيمنة مبادئه وتعاليمه على سلوك الناس وحياتهم ومعاملاتهم ، و . . . ، و . . الخ من خلال الدولة وسلطانها ، والنظام وقوانينه .

ولو لم يكن الأمر كذلك : لظل النبي ﷺ بمكة حيث كان يحب ، دون تعرض لمشقات الهجرة ، وآلام فراق الوطن ، خاصة وأن أهل مكة ما كانوا يتعرضون له ولأصحابه ﷺ بالإيذاء والاضطهاد ، لو كانوا يعلمون أنه مذهب فكري يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم دون تعرض به ومن خلال مبادئه لتغيير سلوك الناس ، ونظام حياتهم ، وقوانين مجتمعاتهم .

وهو نفس الهدف ، ونفس الدرس ، الذي يستجلب لأبناء الحركة الإسلامية ـ في عالم اليوم ـ المتاعب والمصاعب والمحن .

فليس الذي يعانون بسبب اعتناقهم الإسلام ، أو تنفيذهم لشعائره وعباداته ، إنما السبب الحقيقي فيما يعانونه : هو أنهم يريدون الإسلام نظاما وقوانينا ، يريدون الإسلام مهيمنا على كل جنبات حياتهم ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ ﴾ (1)

ولن نستفيد من هذا الدرس . . ! !

ولن ننتفع بهذا الدين . . ! !

إلا إذا أصبح الإسلام ـ كما يقول الإمام حسن البنا ـ نظاما شاملا ، يتناول مظاهر الحياة جميعا ، بحيث يصير : دولة ووطنا ، أو حكومة وأمة ، كما أنه خلق وقوة أو رحمة وعدالة ، وثقافة وقانون ، أو علم وقضاء ، كما أنه مادة وثروة أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة ، سواء بسواء . » (2)

ومن الواجب أن ننبه هنا : على أن هذا الكلام لا يوجه

---

(1) الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣

(2) انظر : مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص ٣٩٠

فقط للقادة والمسئولين والحكام ، بل هو موجه _ كذلك _ لأفراد الناس وجماعاتهم ، عامهم وخاصهم ، مع الحكام والمسئولين ، سواء بسواء ، كل على قدر موقعه ، وحجم مسئوليته ، ودائرة اختصاصه .

فلا ينبغي أن يكون تقاعس الحكام عن تطبيق شرع الله مندوحة لشعوبهم في أن تعيث في الأرض والدنيا لهوا وفجورا وفسادا ، بحجة أن « **الناس على دين ملوكهم**» .

كلا . . وألف كلا . . ! !

ففي الحديث الشريف : عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تكونوا إمعة ، تقولون : إن أحسن الناس . . أحسنا ، وإن ظلموا . . ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساؤا فلا تظلموا** » [1]

كما أن تعاليم الإسلام ، لا يهيمن عليها _ كلها _ ويقدر على تعطيلها الحكام ، حيث إن الكثير من أحكام الإسلام ، وآدابه ، ونظمه ، وقواعده ، وتعاليمه ، ترتبط القدرة على تنفيذها _ فقط _ بالمرء نفسه ، دون تصريح أو تمكين من غيره .

---

(1)رواه : الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الإحسان والعفو ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

ولو عرض كل امرئ حاله على شرع الله لوجد الكثير مما هو مسئول عنه ويستطيع ــ لو صدق ــ تنفيذه : قد ألقى كسلا ، أو إهمالا ، أو هروبا من التبعات ، على شماعة تقاعس الحكام عن تطبيق شرع الله . . ! !

كما لا ينبغي أن يكون فساد الشعوب ؛ وإهمالها ــ أو جهلها ــ لشرع الله مندوحة لحكامهم في أن يعيشوا في الأرض والدنيا والناس إيذاء وقهرا وإفساداً ، بحجة أنه لا يصلحهم ــ أو يصلح معهم ــ إلا هذا ، أو بحجة من كان يقول : ﴿ **يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ** ﴾

كلا . . وألف كلا . . ! !

ففي الحديث الشريف . . « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ بعبادة الله . . الحديث** »

لاحظ أن أولهم : هو الإمام العادل ، الذي يصلح البلاد ، ويعدل بين العباد .

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه : عن رسول الله ﷺ، أنه قال : « **إن المقسطين ، عند الله ، على منابر من نور ، عن يمين الرحمن عز وجل ــ وكلتا يديه يمين ــ الذين : يعدلون في حكمهم ، وأهليهم ، وما ولوا** » (1)

ولذا . . فالأولى بالحكام : أن يعدلوا ، وأن يصلحوا حتى لا يحرمون من هذا الفضل ، الذي لا يدانيه فضل ، وحتى لا يصيبهم ما أصاب من « **استخف قومه فأطاعوه** » وسكتوا له ، فاغتر ، وقال : « **أليس لي ملك مصر** » ؟ إذ يخبرنا القرآن الكريم عنه وعنهم ، بقوله « **فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين** » .

ولو لم يتم ذلك في الدنيا : فإنهم سيقفون أمام الله تعالى يوم القيامة ، وسيحاسبهم ربهم عن أنفسهم وعن رعاياهم .

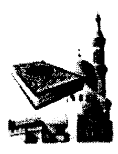
ودعاء النبي ﷺ ، مستجاب فيهم ، الذي يقول فيه : «**اللهم . . من ولي من أمر أمتي شيئا ، فرفق بهم : فارفق به**»(2)

وسيحاسبهم عما هو أكثر وأعم من ذلك .

(1-2) رواه مسلم كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، وعقوبة الجائر . الخ

فسيحاسبهم عن : «صيانة الأمن ، وإنفاذ القانون ، ونشر التعليم ، وإعداد القوة ، وحفظ الصحة ، ورعاية المنافع العامة ، وتنمية الثروة ، وحراسة المال ، وتقوية الأخلاق ، ونشر الدعوة» .[1]

ولذا فبالراعي والرعية : يصير الدين واقعا ، والسلوك عبادة ، فلا انفصام بين الدين وحياة الناس ، ولا خصومة بين حياتهم وتعاليمه .



(1) انظر : مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص ٣٩٠

الدرس الثالث

(إصلاح النفس.. أولا)

على الداعية الواعي : أن يركز أولا _ ودائما _ وقبل كل شئ ، على : تزكية نفس المدعو ، وطهارتها ، وإصلاحها ، وتحبيبها في المعروف ، وتنفيرها وتبغيضها في كل منكر .

حيث إن إصلاح النفس : مدخل إلى كل خير ، وطريق إلى كل نجاح ، وهو في الوقت نفسه : غاية عزيزة المنال ، غالية الثمن ، تحتاج إلى : صدق العزم ، وشد الرحال ، وبذل الجهود .

وهذا : ما زكز عليه ، ولفت الأنظار إليه ، وفعله ، النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد الأنصار الذين قدموا عليه بمكة ، وبايعوه في العقبة . . حيث بايعهم صلى الله عليه وسلم على ذلك في بيعة العقبة الأولى ، ثم بعد عام كامل ، سمت فيه أرواحهم ، وزكت نفوسهم ، وطهرت قلوبهم ، وصلب عودهم ، وصاروا صالحين لتحمل أعباء الدعوة ومهامها ومشاقها : بايعهم صلى الله عليه وسلم على الأمور التنظيمية التي تحتاج الدعوة إليها ، ولا يتم نشرها ولا نجاحها بدونها .

يقول عبادة بن الصامت : «**كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا أثنى عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء . .**

على : أن لا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف . ثم قال : فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده في الدنيا : فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة : فأمركم إلى الله عز وجل ، إن شاء عذب ، وإن شاء غفر» (1)

أما في بيعة العقبة الثانية ، بعد عام كامل من الأولى .

فقد كانت البيعة :

«على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني وتمنعوني ــ إذا قدمت عليكم ــ مما تمنعون منه أنفسكم ، وأزواجكم ، وأبنائكم ، ولكم الجنة» (2)

وهذا درس من الهجرة في غاية الأهمية : حيث إن النفس الطاهرة يجذبها نور الدعوة وصفاؤها ، وتستعذب التضحية في دين الله تعالى بالنفس والنفيس ، مع الثبات - الذي لا تهزه شدائد أو لذائذ ــ على طريق الحق .

---

(1) البخاري مناقب الأنصار ، باب وفود النبي صلى الله عليه وسلم وبيعة العقبة ، السيرة النبوية القسم الثاني ص ٤٣٣

(2) لرحيق المختوم للمباركفوري ص ١٦٦

وإغفال هذا الدرس : بالإهمال لإصلاح النفس كلية ، وترك الحبل لها على الغارب ، حتى تبعت جموع هذه الأمة هواها ، وضلت سبيل رشدها ، وفقدت صلاح حالها : هو الذي ألقى بها في أوحال هذا التردي الذي تعانيه ، والتخبط الذي ترسف فيه .

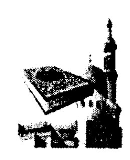
وبسبب إغفال هذا الدرس ، وهذا الإصلاح : أصبحت هذه الأمة : خاوية الوفاض من كل ما يثبتها ، ويملؤها طمأنينة ، وصارت : ترتجف من كل ناعق ، وتتبع كل مضل لها ، رغبا أو رهبا ، حتى سقط أصحاب هذا الزمان في قاع المستنقع البشري ، وغلبهم التخلف العالمي ، وصاروا _ إن كان لقدمهم موضع _ في ذيل قائمة أهل الدنيا وسكانها ، وفقدوا مقومات النجاح ، وضاعت منهم مؤهلات الخيرية ، وندت عنهم أنوار الوسطية ، وعوملوا بلا اكتراث ، بل عوملت حقوقهم بالافتراس ، إلى غير ذلك من ألوان الخسف والنكال والانتقاص .

وإن إغفال هذا الدرس من الحركة الإسلامية خاصة : بسبب الاهتمام والتركيز على الأمور التنظيمية قبل إصلاح النفس ، أو دون استمرار ومتابعة لتزكيتها ، أمر خطير النتائج ، تعاني منه الدعوات ، وتدفع الثمن _ حال إغفاله _ غاليا .

كما وأن الأمور التنظيمية التي تحتاجها الدعوة ، ولا تستمر

إلا بها ، لا يمكن أن تنجح ، وتؤدى على الوجه الأكمل ، إلا من متعبد لله تعالى بها ، باحث عن مرضاة ربه عن طريق الإخلاص لله تعالى في أدائها ، ولا يؤديها على هذا النحو :

إلا من سمت روحه ، وزكت نفسه ، وأسعدته الجندية الحقه في سبيل نشر كلمة الله تعالى ، ورفع راية الدعوة ، وإعلاء شأن المسلمين .



الدرس الرابع
(الوضوح في التعاملات)

ومن الدروس البارزة النافعة القيمة في الهجرة النبوية الشريفة : وجوب الوضوح في التعاملات بين المسلمين ، على أن تكون وفق ما شرع الله تعالى ورسوله ، ونابعة منه ، سواء أكانت هذه التعاملات في الجانب الاجتماعي أم في الجانب الاقتصادي ، للأمة المسلمة .

وذلك : ليظهر للعيان النموذج الأمثل ، وتقدم الأسوة الحسنة حية في دنيا الناس ، شاهدة على واقعية هذا الدين ، وصلاحية أهله لقيادة العالمين .

وسنخصص الحديث هنا عن ضرورة " الوضوح في التعاملات المالية " بين المسلمين : ـ

لأنها الدرس الحركي الواضح في هذه الهجرة .

ولأن هذا الجانب هو الأهم عند الناس ، وإذا صلح فيهم ، سهل إصلاح وصلاح غيره لديهم .

وحرصا منا ـ كما يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم ـ على التنبيه على قطع دابر الخلاف الذي ينشأ بسبب المال ، ويقطع الروابط ، ويمزق الصلات ، بين أتباع هذا الدين العظيم

، الذي يدعو إلى الوحدة والترابط والتماسك ، كسبيل لبلوغ أهدافه العظيمة في إسعاد البشرية .

وكان ذلك . . ! !

لأن المال : هو عصب الحياة _ كما يقال _ وهو : أحد زينتي الحياة الدنيا ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (1)

ولأن طبيعة النفس البشرية : نزاعة لحب المال وتملكه ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (2)

وهذه النزعة البشرية شديدة وقوية . . يقول صلى الله عليه وسلم : " لو أن ابن أدم أعطى واديا ملآن من ذهب أحب إليه ثانيا ، ولو أعطي ثانيا أحب إليه ثالثا ، ولا يسد جوف ابن أدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب . (3)

وهذه فطرة فطر الله الإنسان عليها ؛ لتستمر الحياة ، ويعمر الكون ، ولذا لا تعاب فيه ، ما دامت لا تتعدى به ، ولا يتعدى هو بها الضوابط التي وضعها له خالقه ، وخالق فطرته ، سبحانه وتعالى ، سواء أكانت هذه الضوابط في اكتساب هذا المال أم فيه اكتنازه ، أو إنفاقه .

---

(1) _ الكهف ٤٦

(2) _ الفجر ٢٠

(3) _ البخاري كتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال ، ورواه : مسلم ، والترمذي ، والدارمي ، والإمام أحمد في مسنده .

ولذلك : أعطى الإسلام هذا الجانب اهتماما كبيرا ، وعناية فائقة

يتضح ذلك جيدا في كتاب الله تعالى ، وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، القولية والفعلية .

وهو واضح _ كذلك _ في دروس الهجرة .

تقول عائشة رضي الله عنها : **قال أبو بكر يا نبي الله إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا . . . ولما قرب أبو بكر رضي الله عنه الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدم له أفضلهما ، ثم قال : اركب فداك أبي وأمي .**

فقال رسول الله ﷺ : **إني لا أركب بعيرا ليس لي ، قال : فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي . . !!**

قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به . ؟ قال : كذا وكذا ، قال ﷺ : **قد أخذتها به ، قال : هي لك يا رسول الله ، فركبا وانطلقا . . .** »[1]

ما كان أحرى برسول الله ﷺ : أن لا يدقق هكذا ، فأبو بكر صديقه وصديقه وأقرب الناس إليه ، والراحلة أقل من أن ينتظر أبو بكر من رسول الله ثمنها ، وهو الذي يفتديه بأمه وأبيه ، بل بروحه التي بين جنبيه . . ! ! وليس بين الأصدقاء _ أو الجيدين ، كما يقولون _ حساب . . ! !

ولكنه التشريع للأمة ،

(1) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة

ولكنه التعليم لها ،

ولكنها القدوة لشباب الصحوة ، والنموذج الواعي الواضح لأهل الدنيا كلها ،

ولكنه الحرص على : تماسك الصف ، وقوة البنيان ، ووحدة المسلمين ، وحمايتهم من شر المال ، وسوء التعامل فيه ، وبه .

وليس هذا فقط . . فإنه ﷺ حينما وصل المدينة ، وبركت ناقته في موضع المسجد النبوي اليوم : ماذا فعل . . ؟

في البخاري . . « **وكان ـ أي موضع المسجد ـ مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة ، فقال رسول الله ﷺ ، حين بركت به راحلته : هذا إن شاء الله المنزل ، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين ، فساومهما بالمربد ؛ ليتخذه مسجدا ، فقالا : لا ، بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة ، حتى ابتاعه منهما** » [1]

وهذا درس ينبغي أن يعيه شباب الحركة الإسلامية اليوم جيدا ! !

فكم من تعاملات بدأت بوافر حسن النية ، وعظيم ثقة الأخوة ولكنها نسيت هذا الدرس ، وتخلت عن بعض ضوابط الشرع :

(1) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة

فما كان لها من مصير سوى الطريق المسدود ، والفساد السريع ، والتخطي منه إلى القطيعة ، بل إلى الشحناء والعداوة . . ؟!!

ولذا : فليس عيبا ــ بل هو التشريع ــ أن نتكاتب في تعاملاتنا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (1)

ولا يقلل هذا من حسن النية ، وثقة الأخوة ، وتوافر الحب ، وإسلامية التعامل .

وليس عيبا ــ بل هو التشريع ــ أن يكون الوضوح رائدنا

(1) البقرة : 282 .

في تجارتنا وفي بيعنا وشرائنا ، وإقراضنا وإقتراضنا ، و . . الخ من صور التعاملات المالية ، فيما بيننا وبين بعضنا البعض ، ووضوحها بيننا وبين الآخرين . . ! !

وليس عيبا ـ بل هو التشريع ـ أن نأخذ حقوقنا من بعضنا البعض عن أعمال نؤديها ، أو تؤدى لنا
«ثلاثة أنا خصيمهم يوم القيامة : . . » أحدهم : **« رجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»** [1] آيا كان هذا الحق ، وأيا ما كان هذا العمل .

ولا يقلل هذا من : حسن النية ، وثقة الأخوة ، وتوافر الحب ، وإسلامية التعامل .

وليس عيبا . . ! !

وليس عيبا . . الخ .

ولن نقيم الدولة على أسس راسخة ونحافظ على قوة الترابط ، وحسن النية ، وثقة الأخوة ، وتوافر الحب ، وإسلامية التعامل ، ووضوح الرؤية ، وسرعة الوصول للأهداف ، والتخلص من عوامل الخلاف : ما لم نجاهد أنفسنا في الإفادة من هذا الدرس النبوي الكريم الذي علمناه محمد ﷺ خلال هجرته العظيمة .

---

(1) البخاري كتاب الإجارة باب إثم من منع أجر الأجير .

الدرس الخامس

(التبشير.. لا التخويف)

على المسلم بعامة، وكل من انخرط في صف الدعوة إلى الله بخاصة، أن يكون مبشرا ميسرا _ لا مخوفا معسرا _ يعد بفضل الله تعالى لمن أحسن، ويرجو عفو الله تعالى لمن تاب لأن فضل الله تعالى لا يحجبه أحد، وعفو الله لا يملكه سواه

يقول عبادة بن الصامت، بعد أن ذكر بنود بيعة العقبة الأولى : ثم قال رسول الله ﷺ: « **فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئا، فأخذتم بحده في الدنيا : فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة : فأمركم إلى الله، إن شاء عذب، وإن شاء غفر** » [1]

يا لعظمة هذا النبي . . ﷺ . . ! !

ويا لسماحة هذا الدين . . ! !

« **وإن غشيتم من ذلك شيئا : فأمركم إلى الله** »

لاحظ أخي المسلم الكريم . . أن الإشارة هنا « **من ذلك** » لا تعود على صغائر من الذنوب، بل على ذنوب

(1) السيرة النبوية القسم الأول ص 433، 437، 487

هي من الكبائر ، بل هي الكبائر ، ومع ذلك يقول الحبيب ﷺ« **فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر** »

نعم . . من وفى : يبشره النبي صلى الله عليه وسلم بفضل الله وإحسانه . . ومن خالف : أيضا يبشره النبي صلى الله عليه وسلم بعفو الله وغفرانه .

لم يهدد النبي ﷺ ويتوعد . . ! !

ولم يتشنج _ وحاشاه ﷺ _ ويرغى ويزبد ، ويوحي لسامعيه أنه العليم ببواطن الأمور ، والقابض على مفاتيح العدل والفضل . . ! !

ولم يقل : « **ومن غشي من ذلك شيئا : فليفارق دعوتنا ، وليتبع سبيلا غير سبيلنا ، حيث إنه لا يصلح في صفوفنا** » . . ! !

لا . . لم يقل هذا ولا ذاك .

بل أفصح بأدب الدعوة الرفيع ، وأخبر عن منهجها السمح ، وبين _ بكل وضوح _ أن مفاتيح ذلك كله بيد الله سبحانه وتعالى .

وهو درس يجب أن يعيه شباب الصحوة الإسلامية المباركة ، الذين اتخذ بعضهم _ وهم قلة _ التخويف من عذاب الله تعالى فقط ، أو الاكثار منه ، في إقناع الآخرين بالطاعة لله تعالى ، منهجا ، أو التشديد على أنفسهم ، أو

غيرهم أسلوبا في الحياة وطريقا .

ومن تصفح كتاب الله تعالى وجد هذا الدرس واضحا فيه بجلاء ، حيث إن آيات الرحمة أكثر فيه من آيات العذاب ، وآيات البشارة أكثر من آيات الإنذار ، بل إنه ما من آية عذاب أتت إلا أعقبتها ، أو جاءت قريبا منها آية رحمة .

ومن يفعل غير ذلك ، وغير ما فعله النبي ﷺ، يكون قد خالف شرع الله تعالى ، وبعد عن سنة محمد ﷺ ، وتجرأ _ من فرط جهله _ على سماحة هذا الدين ، وأدب الدعوة إليه .

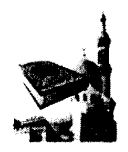
وينبغي أن يكون واضحا : أن لا يصل الداعية بهذا التيسير والتسهيل والتبشير ، حدا يدفع الآخرين إلى الجرأة على الله تعالى ، أو التسويف في القيام بأحكام هذا الدين ، أو الترخص _ بلا دليل _ في بعضها .

بل عليه : أن يكون متوازنا _ أولا _ في سلوكه ، معتدلا في تفكيره وعباداته ، يرجو رحمة الله ، وفي نفس الوقت يخشى عذابه .

كما أن عليه : أن يكون متوازنا _ ثانيا _ في عرضه لمبادئ هذا الدين ، وفي الدعوة إليه ، فيقدم الصورة كاملة

، بحيث لا يتعرض لجانب التخويف والعذاب ، وعرض صوره وأدلته فقط ، كما لا يتعرض لجانب الرجاء والعفو والثواب ، وعرض صوره وأدلته فقط ، بل يتعرض لهذا وذاك ، دون إهمال لأحدهما كلية ، أو طغيان له على الآخر ، بل يلتزم المنهج الوسط ، والعرض الأمين ، والأسلوب المعتدل .

ثم يترك النتائج لله سبحانه وتعالى .



الدرس السادس

ضرورة البحث عن البيئة الصالحة للدعوة

على الداعية الذي يجد البيئة غير صالحة لدعوته ، والجو ليس مناسبا لها ، والأفراد لا يتقبلونها : أن يبحث _ بشرط صلاحيته هو _ عن بيئة أخرى لهذه الدعوة ، وجو آخر لها ، وأناس يتقبلونها ، مستعينا بالله ، معتمدا عليه ، ممتثلا لقوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [1] دون أن يكف عن نشر دعوته ، وإقناع الآخرين بها ، وتحبيبهم في التعرض لفضل الله ورضوانه عن طريقها ، وكذلك دون أن ييأس من النجاح في ذلك ، أو من نتيجة دعوته ، خاصة وأنه لا يعرف بيقين . . أين البيئة الصالحة لدعوته ؟ ولا متى يكون الجو مناسبا لها ؟ ولا من هم الأفراد الذين سيشرح الله صدورهم لقبولها ؟ حتى يخصهم _ في هذه الحالة _ بدعوته ، ويتفرغ لهم دون غيرهم ، ويحبس نفسه عليهم ؛ رجاء النجاح معهم ، والإفادة بهم ولهم .

حيث إن مرد الأمر في ذلك كله _ كما هو في غيره _ لله تعالى ، أولا وأخرا .

---

(1) النحل :125

ولو كان الأمر على غير ذلك : لما بحث النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الدعوة عن بيئات أخرى غير مجتمع مكة ، الذي كان يتطلع لهدايته ، ويتشوق لإيمانه ، ويتحسر لكفره وعناده : ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ (1) في الوقت الذي كانوا فيه يقولون لبعضهم البعض : ﴿ **لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ (2)

وذلك يتمثل في

أمره ﷺ لصحابته الكرام بالهجرة إلى الحبشة ؛ بحثا عن مجتمع لهذه الدعوة غير هذا المجتمع .

في ذهابه ﷺ بنفسه إلى الطائف بحثا عن مجتمع لهذه الدعوة غير هذا المجتمع .

وهكذا كان يفعل ﷺ في الظروف والمناسبات .

وثالثا : مع الأفراد والقبائل الذين كان يعرض عليهم دعوته دون كلل أو ملل أو يأس ، حتى استجاب الله لدعائه الذي قال فيه : ﴿ **رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا** ﴾ (3)

---

(1) الكهف : 6.

(2) فصلت : 26 .

(3) الإسراء : 80 .

وكان هذا المجتمع : هو مجتمع المدينة ، بجوه ، وظروفه ، وأفراده ، وجماعاته ، والذي كان بعد طول بحث وعناء .

وحتى نستفيد من هذا الدرس : علينا ــ نحن المسلمين ــ أن نكون جادين نشيطين في نشر الإسلام ومبادئه بكل الوسائل الممكنة ، ــ وهي كثيرة ومتنوعة ــ وبكل اللغات ، وفي كل البيئات ، وعلى كل الأفراد من باب عرض مباهج هذا الدين وروائعه ووسائله في إنقاذ العالم ، من الظلم والضياع والدمار ، الذي يسير فيه وإليه ، وليس من باب الدفاع عنه فقط ، والاكتفاء برد الشبهات التي تصنع ضده صنعا ، وتزرع زرعا ، لينشغل الدعاة بها ، وينصرف الناس عنه بسببها ، وتظل مبادؤه مطمورة ، وتعاليمه مهجورة .

وينبغي : أن لا يقعدنا عن ذلك ، ما يقال : من أن الفساد قد عم ، واتسع الخرق على الراقع ، و ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [1] ولن تجدي محاولتنا في الدعوة والإصلاح .

إذ لو كان الأمر كذلك ــ وهو ليس كذلك ــ لما كانت الدعوة لإبراء الذمة وإنقاذ النفس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا

(1) الروم : 41.

الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (1)

وأيضا . . فإن الداعية لا يدري متى هداية الله ؟ ولا لمن تكون ؟ كل ما عليه : أن يبلغ ، وأن ينشر ، وأن يكون قدوة صالحة بأقواله وأفعاله ، وأما مسألة الهداية ومكانها وأشخاصها . . فليدع ذلك لله سبحانه وتعالى : ﴿ نَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ (2)

وللعلم . . ليست قلوب الناس كلهم قاسية كالحجارة ، ولكن تحتاج - فقط -إلى من يعرف مفاتيحها ، وإذا فتحت هذه القلوب ، ومست شغافها أنوار الدعوة : سرعان ما تتحول منقلبة على جهلها وجاهليتها ، وعلى معصيتها وعصيانها، وفاعلة في بيئتها ومحيطها ، ليصبح ذلك خيرا لها، ولمجتمعها ، وللدعوة .

كما أن كثيرا من أهل الباطل وأنصاره : يعادون الدعوة جهلا بها ، وبغضا لبعض أهلها ، ولو جاء الداعية الماهر : وأزاح هذه الغشاوة من الجهل عن العقول والقلوب ، وعالج هذا البغض من النفوس ، وزرع بدلا منه العلم السهل الواضح بهذه الدعوة وأهدافها ، وملأ هذه النفوس بالتسامح والمحبة ،

---

(1) الأعراف 164 ، 165 .

(2) القصص : 56 .

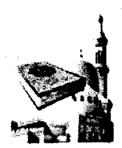
والقدرة على التماس المعاذير للغير . .

لو فعل ذلك ، ووفقه الله فيه : لتحول هؤلاء ، أو كثير منهم ، أو بعضهم . . إلى أنصار للدعوة بدل العداء لها ، ومحبين لهذا التيار بدل العداء لأهله .

ولو تم ذلك . . ! !

لكسبت الدعوة بهم خيرا كثيرا .

ولكسبوا هم _ كذلك _ بالدعوة _ خيرا كثيرا .



الدرس : السابع
(ضرورة الدعوة الفردية)

على كل مسلم ، غيور على دينه ، حريص على نشر مبادئه ، وهداية الناس بها : أن يمارس الدعوة إلى الله تعالى ، بكل الوسائل المتاحة له ، والمؤدية إلى النجاح في مهمته ، وفي كل الظروف الممكنة ، وفي كل البيئات التي يرى ـ أو يأمل ـ فيها القبول لدعوته ، ومع كل الناس الذين تجمعه بهم الأقدار ويلمح فيهم ولو أدنى بارقة أمل في أن يشرحَ الله صدورهم حتى ولو للاستماع إليه فيما يعرضه عليهم .

يقول تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (1)

ويقول سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (2)

ويقول ﷺ « **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** » (3)

ويكون ذلك : بالقدوة الحسنة سلوكا ، والكلمة الطيبة قولا

---

(1) النحل :125

(2) آل عمران : 110 .

(3) رواه : مسلم ، كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان . . الخ ، ورواه كذلك : الترمذي ، والنسائي والإمام أحمد في مسنده .

، المنبثقة _هذه وتلك _ من الفهم الجيد ، المبنية على الإخلاص لله تعالى ، والرغبة الجادة الصادقة في نوال مرضاته سبحانه وتعالى ، ورفع راية هذا الدين ، وإعلاء كلمته ، وإعزاز أهله .

وممارسة الدعوة على هذا النحو : فريضة ، واجبة على المسلم _ رجلا أو امرأة _ في كل حال ، وفي كل بيئة ، ومع كل الناس ، ما دامت الظروف مهيئة ، والوسائل متاحة ، لا يحجبه عن ذلك شواغل ، ولا يصرفه عنه صوارف .

وإذا كان ذلك بصفة عامة : فإن الذي نستفيده من دروس الهجرة الحركية _ بجانب فريضة الدعوة العامة _ أنه على المسلم _ كذلك _ أن يمارس الدعوة الفردية إلى الله تعالى _ بصفة خاصة _ مع كل من ييسر الله تعالى له لقاءهم أو الاتصال بهم ، دون أن يدفعه إلى ذلك تكليف ، أو يطمع بذلك في تشريف ، أو ينتظر من ذلك أية مكاسب .

خاصة : وأن الدعوة الفردية من أهم روافد العاملين للإسلام ، وازديادهم في حقل الحركة الإسلامية ، وهي الأسلوب الأول الذي مارسه محمد ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى ، وستظل _ كذلك _ أسلوبا فاعلا قويا ناجحا في أداء هذا الغرض ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهذا ما فعله ﷺ _ بجانب أساليبه الكثيرة _ في الدعوة

إلى الله ، قبل الهجرة ، وفي التمهيد لها ، فقد فعل ذلك مع الوليد بن المغيرة ، كما فعل ذلك مع عداس النينوي بالطائف ، ومع الأفراد والوفود بمنى أيام الحج ، حتى كان الرهط من الخزرج الذين أراد الله بهم خيرا ، وأراد للدعوة عن طريقهم خيرا .

وهو ما فعله هؤلاء النفر ، الحديثوا عهد بالإسلام ، الذين قدموا في موسم الحج من المدينة ، لمبايعة النبي ﷺ

يقول كعب بن مالك : « . . **فلما فرغنا من الحج : وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ــ سيد من ساداتنا ، وشريف أشرافنا ــ أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه ، وقلنا له : يا أبا جابر . . إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ،ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ العقبة ، قال : فأسلم ، وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا** »(1)

وفي هذا الدرس من الأنصار ــ في الدعوة الفردية ــ الذي تعلموه مبكرا من النبي ﷺ ، نرى : حسن الاختيار ، ودقة التوقيت ، وبلاغة العرض ، والمسارعة في نشر الدعوة ، وعدم تضييع الفرصة ، ولذلك كان التوفيق حليفهم .

وواجبنا ــ على هذا ــ أن لا نستهين بهذه الطريقة في

(1) روض الأنف 2/ ١٨٨

الدعوة إلى الله تعالى ، ففيها ـ وعن طريقها ، بإذن الله ، يكون ـ الخير الكثير .

فكم من أفراد فطرتهم سليمة ، ولكن ما عرضت الدعوة عليهم عرضا حسنا ، أو شغلتهم الحياة ، بهمومها أو بزخارفها ، ولا يحتاجون سوى التذكير بالله ، مع حسن العرض ، وأدب الحديث ، ووضوح الفكرة ، وجمال الصحبة إن أمكن ، مع الاهتمام بهم ، والسؤال عنهم . . الخ ؟ وستجدهم جنودا مخلصين لهذه الدعوة ، يسعدون بها ، ويرضون الله تعالى بالانضواء تحت لوائها ، ومن الطبيعي : أن يقوى بهم الصف ، ويزداد بهم العدد ، ويكثر ويتحقق بهم ـ لهذه الدعوة ـ النفع .

وكم من أفراد حجبهم الخوف عن فهم الإسلام فهما شاملا ، واكتفوا بما يعرفون من قشوره ، ويمارسون من رسومه ، ووقعوا في براثن الجهل به عن غير قصد ، وصاروا في عداء له بسبب هذا الجهل ، ومن جهل شيئا كما يقولون عاداه . ؟

وهؤلاء لا عذر لنا في عدم تلمس الوسائل لتفهيمهم ، وعرض الدين الشامل عرضا جيدا عليهم ، مع بيان الثواب والإنعام الإلهي لمن اتبع والتزم ، والإيذاء ـ مع الغضب ـ الإلهي لمن خالف وتقاعس وانحرف .

ومع تلمس الوسائل ، وحسن العرض : ستنقشع الغشاوة

عن العيون بإذن الله ، وينزاح كابوس الخوف عن القلوب ، لا أقول من كلهم ، بل من بعضهم .

بل كم من أفرادا يبحثون عن الطريق ، ولا يحتاجون إلا إلى من يمد لهم يده ، وينير أمامهم الطريق ؟

ومما ينبغي أن يلاحظ جيدا : أنه ليس من الضروري ، أن تكون صفات الكمال متوافرة ، أو أغلبها فيمن ندعوهم إلى الله تعالى ، والانضمام إلى صفوف العاملين للإسلام . . وإلا فما مجال عملنا نحن معهم ؟ وما دورنا في الأخذ بأيديهم إلى الله تعالى ؟ . . هذا فضلا عن نسياننا لأمرين هامين : الأول : أن هؤلاء من الندرة ــ في عالم اليوم ــ بمكان ، الثاني : أننا نحن لا نتمتع بهذه الصفات أو أغلبها ، بل نعمل لها ، ونطمع في إنعام الله تعالى بها علينا .

كما ينبغي أن يلاحظ جيدا : أن الحركة الإسلامية في حاجة لأن تضم بين صفوفها أصحاب كل الكفاءات مهما قلت ، وكل الطاقات مهما ضعفت ، وكل الصفات مهما تنوعت ، إذ هي حركة ، وإن كانت تهدف إلى قيادة المجتمع ، فهي تمثله بفئاته وطوائفه .

فضلا عن أن تعدد المهام في العمل للإسلام : يحتاج إلى : من يصلح للقيادة ، ومن يصلح للجندية ، من يصلح للتخطيط ،

ومن يصلح للتنفيذ ، من يصلح للتفكير ، ر ومن يصلح للعمل ، ومن يصلح للإبداع ، ومن يصلح للتقليد .

ومن هنا كان وجوب عمومية الدعوة ، في قوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ [1]حيث حذف المفعول ، وهو المدعو ؛ ليفيد العموم ، ويحتم على الدعاة ـــ بالطرق العامة أو الدعوة الفردية ـــ دعوة الجميع .

وليعلم الداعية : أن هذه الجهو د لن تضيع أبدا .

فإما أن يتحول المدعو إلى الله تعالى ، وينخرط في صفوف العاملين في حقل الدعوة .

وهنا : ينال مثل الداعي مثل ثواب المدعو ، دون أن ينقص ذلك من أجره شيئا « **لئن يهدي الله بك رجلا واحدا : خير لك من أن يكون لك حمر النعم** » [2]

وإما أن يفهم المدعو الدعوة وغايتها ، ويفهم ما أنت عليه ، دون أن ينخرط معك ، لأي سبب خاص به ، ولن تعدم في هذه الحالة أن يتعاطف معك ، وأن يكون لسانه ، أو قلمه ، أو سلاحه ، أو لسان حاله ، معك ، لا عليك .

---

(1) النحل :125

(2) رواه : البخاري ، في : الجهاد ، فضائل أصحاب النبي ، المغازي ، مسلم " واللفظ له " في كتاب : فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وهذا مكسب ــ في ذاته ــ كبير .

وإما أن تتركه حائرا غير ثابت في موقعه الأول ، مترددا بين ما هو عليه وبين ما تدعوه أنت إليه ، غير مستقر على حال .

فما عليك في هذه الحالة : إلا تتعهده بالدعاء والابتهال إلى الله تعالى أن ينير طريقه ، وأن يشرح صدره لنور الدعوة ، على أن لا تبتعد عنه إهمالا له ، أو يأسا من إقناعه ، وأن لا تثقل عليه ، وتلح في الإمساك به .

وإما أن يكون معاندا مجادلا ، أو معاندا متحاملا ، أو معاندا معاديا .

فهذا : دعك من تضييع الوقت معه ، وتبديد الجهد في إقناعه ، لعل الله تعالى يهيئ له غيرك فيستجيب له ، أو يشرح صدره في وقت ــ أو ظرف ــ آخر ، أو لعل الله يريد له أمرا غير ما تدعوه إليه ، وما عليك إلا أن تدعو له بالهداية ، فلا تعاده ، أو تنفعل عليه .

ويكفيك أنك بلغت أمانة الدعوة ، وأبرأت ذمتك .

والله تعالى ــ قبل ذلك ، وبعد ذلك ، وفوق ذلك ــ كفيل بحماية الدعوة من كيد أعدائها ، وجهل أبنائها .

فلا تقصر في واجب الدعوة الفردية إلى الله تعالى بحال من الأحوال ، ومهما كانت النتائج

الدرس: الثامن
(عدم تعجل النصر)

على المسلم بعامة، وشباب الحركة الإسلامية خاصة: عدم استبطاء النصر، أو التعجل في تحقيق النتائج، وقطف الثمار.

فذلك آفة خطيرة.. تؤدي إلى الفشل الذريع، وتنبئ عن الجهل بسنن الله تعالى، وعدم سلامة التكوين وصحة التربية.

ومراعاة هذا الدرس: أمر ضروري في إعداد الجيل الذي يحمل الأمانة، ويعمل على تبليغ الدعوة، وإقامة النظام.

وهو درس: جد واضح بين الدروس الحركية التي تؤخذ من هجرة النبي ﷺ.

فهذه الهجرة مثلا.. قد تأخرت بعد البعثة النبوية ثلاثة عشر عاما، كلها مصاعب ومتاعب.

وحتى خلال التمهيد للهجرة.. هؤلاء الأنصار كانوا في أول لقاء مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة أفراد فقط،

وبعد عام كامل ـ ياه.. ؟ عام كامل!!؟ ـ نعم عام كامل، جاء إليه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا فقط، وهم الذين بايعوه بيعة العقبة الأولى.

وبعد عام كامل كذلك ـ ياه..!! عام كامل..!!؟ـ

نعم عام كامل ، جاء إليه ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان . . وهم الذين بايعوه بيعة العقبة الثانية .

بهذا النمو العددي البطيء ، والبطء العددي العجيب ، ومع من . ؟ مع النبي ﷺ ، ولم يتعجل النتائج أو يستبطئ هذا النمو العددي .

والجواب على ذلك كله : أن الهجرة لم تتأخر ، بل إنها لو جاءت قبل ذلك _ ولم تكن لتجئ _ لخالفت سنة الله وحكمته في بناء النفوس قبل بناء الدولة ، فدولة دون أفراد تم بناء نفوسهم : سرعان ما تنهار ، وأفراد تم بناء نفوسهم دون دولة : سرعان ما قد يقيمون الدولة .

ولذلك لم تأت الهجرة ، إلا بعد بناء الأفراد الذين يقيمون الدولة وتربيتهم ، وتمحيصهم .

والنمو العددي البطيء فيما نرى : صاحبه أمر في غاية الأهمية ، هو النمو الكيفي العظيم الهائل .

ولذلك : ما رأينا من النبي ﷺ استخفافا بهذا العدد ، ولا استبطاء لنموه العددي .

خاصة : وأن أعمار الدعوات ونجاح مراحلها . . أمر يقدره الله سبحانه وتعالى بعلمه وحكمته ومشيئته ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (1)

---

(1) القمر : 49 .

كما أن النتائج كلها بيد الله تعالى : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ (1)

وما علينا إلا أن نأخذ في الأسباب . فنعمل ، ونعمل ، ونحسن العمل : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (2)

فضلا عن أنه ـ أي أعمار الدعوات ـ أمر لا يقاس بالسنين وعددها ، ولا يقاس بأعمار الأفراد وقصرها ، بل بأمور هي من تدبير الله وصنعه ، وتحديده وتقديره .

ولا ينبغي : أن نخضع ما يقدره الله من نجاح ، أو ما يدبره الله لنجاح : إلى موازيننا ، ولا أن نضبط إيقاعه بحسابات أعمارنا .

ومراعاة هذه الفائدة : أمر ضروري وهام . . ! !

وإلا فإننا بتعجلنا : قد نحفر قبر فشلنا بأيدينا ، ونستجلب للدعوة وأهلها الصعاب والعقبات ، وننسف جهود السابقين ، ونضطر إلى البدء ـ من جديد ، بلا فائدة ـ من أول الطريق الذي قطع فيه من سبقنا أشواطا بعيدة .

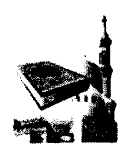
---

(1) الأنفال 10

(2) التوبة : 105 .

وعلى ذلك : فالتعجل ضد طبائع الأشياء أولا ، وضد السنن الإلهية في الدعوات ، وتكوين أفرادها بما يجعلهم مؤهلين للنجاح في حمل أمانتها ، وحسن أداء متطلباتها .

وفهم هذه الفائدة ، وحسن الإفادة منها ، وجدية الالتزام بها : يعين على عدم الوقوع بين براثن اليأس والإحباط ، ويساعد في هدوء الأعصاب ، وشمولية النظرة ، ودقة الأداء ، والإجادة فيه ، وتجنب الأخطاء ، وتحقيق المكاسب ، وضمان الوصول إلى الغايات بتوفيق الله تعالى .



الدرس التاسع
(توافر الحس الأمني)

الحس الأمني : شعور يكتسبه العاملون في حقل الدعوة ، من خلال : سعة أفقهم ، وصدق وعيهم ، وحسن فهمهم لتاريخ الدعوة ومدى ما تعرض له أبناؤها منذ الأيام الأولى مع النبي ﷺ ، وإلى يومنا هذا .

وكذلك : يكتسبونه من شدة حرصهم على نشر مبادئها ، ورفع رايتها ، وإعلاء شأن العاملين بها والمنتسبين إليها ، واستمرار مسيرتها ، وعدم توقف العمل ، أو تعطيله ، عن تحقيق ذلك _ أو بعض ذلك _ كله .

وليس ذلك الشعور ، خوفا على أنفسهم _ وإن كان ذلك أمر مطلوب _ بالقدر الذي فيه الخوف على : ما يحملونه من مبادئ تهدي للتي هي أقوم ، وما يريدون تحقيقه من خلال هذه المبادئ في دنيا الناس وواقعهم .

ولذلك : لابد من توافر هذا الحس ، لدى العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ، كل حسب البيئة التي يعيش فيها ، والمجتمع الذي يخالطه ، والقوى التي تواجهه ، خوفا على الدعوة من أن يحال دون توضيح معالمها ، ونشر مبادئها ، وتكثير أتباعها ، وكذلك : خوفا على رجالها ، من كيد الأعداء ، وبطش الطغاة

وليست هذه دعوة للجبن أو التقاعس ، ولكنها دعوة لليقظة والحذر ، وفهم الواقع ، حرصا على نجاح الدعوة ، وانتشارها ، وتعميم خيرها في دنيا الناس أجمعين .

وإذا كان المسلم _ دائما _ يسأل الله العافية ، فهو لا يبخل أن يجود بنفسه في سبيل نصرة هذا الدين إذا ما دعي الداعي لذلك .

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي

ومن العجيب : أن هذا الإحساس كان في أعلى درجاته عند هؤلاء النفر ، الذين دخلوا هذا الدين حديثا ، والذين جاؤا من المدينة لملاقاة الرسول ، ﷺ، بمنى .

يقول ابن اسحق : قال كعب بن مالك « . . . **فرحل إليه منا سبعون رجلا ، حتى قدموا عليه في الموسم** » (1)

ثم يقول : « **فواعدناه شعب العقبة** »

ثم يقول : فنمنا تلك الليلة مع قومنا ، في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل : خرجنا من رحالنا ، لمعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا ، مستخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من

(1) الروض الأنف 2 / 188 ، 192 ط : مكتبة الكليات الأزهرية _ القاهرة . تحقيق طه عبد الرؤف سعد

نسائنا : نسيبة بنت كعب « **أم عمارة** »، وأسماء بنت عمرو بن عدي « **أم منيع** »

هذا خروجهم من رحالهم ، ومن بين زملائهم ومرافقيهم من أهل بلدهم وأقاربهم . !

فكيف كان وصولهم إلى النبي ﷺ، ودخولهم عليه . . ؟

يقول : فاجتمعنا عندها _ أي العقبة _ من رجل ورجلين حتى توافينا _ أي اكتمل عددنا _ فقلنا يا رسول الله ؛ علام نبايعك . . ؟ (1)

يا سبحان الله . . ! !

لم يخرجوا لملاقاة النبي ﷺ علانية ، أو في وضح النهار ، أو في أوقات حركة الناس ونشاطهم .

بل كان خروجهم

أ _ قرب منتصف الليل ، وبعد أن آوى الناس إلى فراشهم ومضاجعهم .

ب _ تسللا حذرا ، هادئا متخفيا ، حتى لا يشعر بهم أهلوهم وبنو وطنهم ، فيسألونهم عن وجهتهم ، أو يعرفون

---

(1) الروض الأنف 2 / 188، 192 ط : مكتبة الكليات الأزهرية _ القاهرة . ضبط طه عبد الرؤف سعد

وجهتهم ، وقد يمنعونهم ، أو يفشون سرهم ، وبذلك تفشل مهمتهم .

ج ـ لم يسيروا في الطريق جماعة ، بل كانوا متفرقين ، حتى لا يلفتوا الأنظار ، أو يجذبوا أي انتباه إليهم ، مع أن الحجاج كثيرون ، والمكان مكان تجمع وحركة ، والناس في عبادة ، وقد لا ينتبه إليهم أحد ! !

ولكنه الحذر والدقة والحرص . . ! !

وكذلك : هو الحس الأمني الذي تربى لديهم عندما سكن حب الدعوة والخوف عليها وعلى قائدها شغاف قلوبهم .

ثم وصلوا إلى النبي ﷺ، ولم يدخلوا جماعة . . ! !

فكيف كان دخولهم ؟ يقول « **فاجتمعنا عندها ـ أي العقبة ، التي اجتمعوا عندها برسول الله ﷺ ـ من رجل ورجلين** »حتى اكتمل عددهم ، ثم بدؤوا فيما يهدفون إليه .

وينبغي أن يلاحظ جيدا

أنهم لم يدخلوا عليه جميعا دفعة واحدة ، أو عشرة عشرة . . ! !

وكان خروجهم من رحالهم على هذا النحو . . ! !

وكان سيرهم في الطريق على هذا النحو . . ! !

وكان دخولهم على النبي ﷺ على هذا النحو . . ! !

وكان ذلك : حتى لا يثيروا الانتباه ، ويلفتوا الأنظار إليهم ، ويجلبوا المتاعب عليهم ، ويضيع هدفهم ، ويخيب سعيهم ، وقد يبطش بهم أعداؤهم ، ويؤذون صاحبهم ، دون ذنب جنوه ، أو مكسب حققوه ، ولذلك _ لما تصرفوا على هذا النحو - وصلوا إلى غرضهم ، ونجوا من عدوهم

هذا ..

والذي لفت نظرنا إلى هذا الدرس من دروس الهجرة النبوية : أنه ما خلا عصر ، وما سلم مصر من الكيد لهذه الدعوة ، والتربص برجالها ، منذ يوم هؤلاء النفر من الأنصار ، وإلى يومنا هذا ، وإلى يوم الدين ، وهذه هي حكمة الله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ (1)

كما أن توافر الحس الأمني ، الداعي إلى الحرص الواعي الشديد : ينبغي أن يتحلى به العاملون في الحقل الإسلامي ، الداعون لإعادة الحياة إلى حمى الإسلام ، أو إعادة الإسلام للهيمنة على الحياة ، وإنقاذ أهلها من الضياع ، الداعون للدولة الإسلامية ، الساعون لرفع رايتها .

خاصة : وأن البعض منهم قد لا يعير هذا الأمر انتباها أو

(1) التوبة : 32 .

اهتماما ؛ نظرا : لعدم أهميته وضرورته فيما يرى ، أو لعدم درايته بالجو العام المحيط بالدعوة وأهلها في _ هذا الزمان، و _ كل زمان .

ولذلك : قد يصاب بما يؤذيه ، بل قد يناله ما يفتنه ، مما كان هو في غنى عنه لو حرص على توافر هذا الحس الأمني لديه

وكذلك : قد يصاب غيره _ بسببه _ بما يؤذيه ، أو بما يعوقه عن أداء ما تتطلبه منه الدعوة ، بشكل أو بآخر ، ولزمن قد يطول وقد يقصر .

ومن جهة ثالثة : قد يصاب الصف كله بسبب عدم حرصه هذا ، بعرقلة المسيرة ، أو بتعطيلها وتأخير وصولها إلى الغرض المنشود . * * *

وليس الذي نقول : هو من باب إنكار الابتلاءات ، أو التهرب منها ، حيث إنها سنة إلهية للاختبار والتمحيص ، والنجاة منها ، أو النجاح فيها : منة من الله تعالى على أصحاب الدعوات .

﴿ الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (1)

---

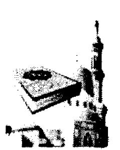
(1) العنكبوت 1، 2 .

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ " ١٥ "

إنما هو من باب : سؤال الله العافية عملا ، لا قولا فقط ، ومن باب : حث المسلم على سعة الأفق ، ودرايته بالواقع المحيط به وبدعوته وبأصحابها ، وكذلك من باب الحرص على عدم تعرضه ، أو تعريض غيره ، أو دعوته ، للضرر ، دون أن يدري .

* * *

ولذا : فعلى أصحاب الدعوة : فهم هذه الفائدة جيدا ، والحرص الدائم على التحلي بها وعدم التخلي عنها ، والتعامل مع الأجواء والظروف المحيطة بهم وبدعوتهم ، بكياسة المؤمن وفطنته ، وخوفه على دينه ، وحرصه على نجاح ونشر دعوته .



(1) آل عمران : 142 .

الدرس : العاشر

(السرية : طريق النجاح)

يقول عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه : « **القلوب أوعية ،والشفاه أقفالها ، والألسن مفاتيحها ؛ فليحفظ كل إنسان مفتاح سره** » [1]

غالبا : ما تكون السرية بالأمر : عونا على قضائه ، وطريقا جيدا لإتمامه ، وأسلوبا نافعا لإنجاحه .

وهذه السرية الواعية النافعة المتعقلة ، نلحظها درسا هاما _ عمليا _ واضحا كل الوضوح ، في حادث الهجرة النبوية .

وبيان ذلك على النحو التالي

أ _ لم يعلم بحادث الهجرة _ حين الخروج _ سوى علي بن أبي طالب بسبب دوره المطلوب ، وأبو بكر لأنه الصاحب فيها والرفيق ، وآل أبي بكر للتغطية ، والدور المطلوب كذلك ، وعامر بن فهيرة بسبب دوره كذلك ، وعبد الله بن أريقط ، الأجير المشرك ، لدوره المعروف ، وليس هؤلاء بالعدد الكثير بالنسبة لهذا الحدث الجليل .

ب _ طلب النبي ﷺ أن يختلي وينفرد بأبي بكر حين أراد مفاتحته في أمر الهجرة .

---

(1) المستطرف في كل فن مستظرف 1 / 296 منشورات دار مكتبة الحياة _ بيروت

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أنها قالت « **أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها ، قالت : فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله ﷺ : أخرج عني من عندك ، فقال يا رسول الله . . إنهما ابنتاي ، وما ذاك فداك أبي وأمي** . . ؟ » [1] ولو لم يوثقهما أبو بكر ، ولو لم يؤكد للنبي ﷺ بهذا القول أنهما على مستوى عال من كتمان الأمر ، وصيانته : لما تحدث النبي ﷺ بأمر الهجرة أمامهما .

وقد أثبتت أحداث الهجرة المبكرة ، صدق تزكية أبي بكر لهما ، وأنه لا دخل للعاطفة ــ بل الدخل لحسن التربية ــ في هذه التزكية ، فيما قامت به السيدة أسماء بنت أبي بكر مما لا يتسع له المقام ، وهو مبسوط في كتب السيرة ؛ وقد نتعرض لبعضه فيما يلي .

ج ــ ذهاب النبي ﷺ لأبي بكر في ساعة ، لا تكاد ترى فيها أحدا في شوارع مكة أو شعابها من قيظ الشمس وشدة الحر ، متقنعا ــ كما في رواية البخاري ــ متخفيا . [2]

---

(1) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

(2) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

وكذلك : عدم خروجهما من باب البيت الأمامي ، بل من خوخة _ باب صغير خلفي _ في ظهر البيت ، حتى لا يراهما _ إن وجد _ أحد .

د _ عدم إعلام النبي ﷺ لأحد من هؤلاء الذين علموا إلا في اللحظات الأخيرة ، صيانة للسر من ذيوعه ، وصيانة لهم من مخاطر كتمانه .

وهذا درس يرينا : منزلة السر ، ومكانة كتمانه ، وإذا كانت صيانة السر وعدم إفشائه واجب إسلامي مطلوب ، وأدب إسلامي مرغوب بصفة عامة ، فهو في أمور الدعوة الحركية أولى وأوجب ، سواء كان منك أو من غيرك ، لك أو لغيرك .

فهذا يوسف عليه السلام ، فيما يحكيه الله تعالى عن والده يعقوب صلوات الله وسلامه عليهما ، وهو يقول له معلما إياه أهمية السر ووجوب صيانته ﴿ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ (1)

ويقول علي رضي الله عنه : «سرك أسيرك ، فإذا تكلمت به : صرت أسيره» (2)

---

(1) يوسف : 5 .

(2) المستطرف في كل فن مستظرف 1 / 296 منشورات دار مكتبة الحياة _ بيروت

ويقولون : من حصن سره ، فله بذلك خصلتان : الظفر بحاجته ، والسلامة من السطوات .[1]

وليس الأمر في ذلك خاص بالأفراد فقط .

بل هو عام : في الأفراد ، والأسر ، والجماعات ، والدول ؛ إذ كل منهم ينبغي أن يحتفظ بالسر ، ولا يطلع عليه أحدا .

وإن كبرى الدول وصغراها لترصد من ميزانياتها ، وأموالها ، الشيء الكثير من أجل الإنفاق على وسائل الاحتفاظ بأسرارها ، وصيانتها من أن يعرفها أحد ، وفي الوقت نفسه : لتعرف أسرار أعدائها ، وتكشف عن مخبوء نواياهم ، إما للنيل منهم ، أو رغبة في صيانة نفسها ، وحماية شعوبها ، من كيدهم وعدوانهم .

وما ذاك : إلا لأهمية هذه الأسرار _ لديها ، أو لدى غيرها _ وخطورتها .

والعاقل : من استطاع أن يكتم السر ويحتفظ به ، لا أن يفشيه ويذيعه ، ومن لا سر له : لا عقل له .

ومن لا يستطيع أن يحفظ سره : لا أمانة ولا أمان له ، ولا ينبغي أن يوكل إليه أمر ، أو تستند إليه مهمة ، أو يكلف بواجب .

---

(1) المستطرف في كل فن مستظرف 1 / 296 منشورات دار مكتبة الحياة _ بيروت

وكم من إظهار سر : «**أراق دم صاحبه ، ومنعه من بلوغ مآربه ، ولو كتمه لأمن ضرره وسطوته**» . [1]

ومن الخطأ البين : ما يظنه البعض من أن كتمان السر أمر مطلوب بالنسبة لأناس بعينهم ، وهو على غيرهم كلأ مباح ؛ حيث إن السر ما سمي بذلك إلا لطلب عموم كتمانه .

ولذا يقال : انفرد بسرك . . لا تودعه حازما فيزل ، ولا جاهلا فيخون " .

وما قد يفعله البعض ، مما يحكيه الأحنف بن قيس ، إذ يقول : « **يضيق صدر الرجل بسره ، فإذا حدث به أحدا قال أكتمه علي** » [1] ، وبذلك : سرعان ما يذيع وينتشر .

والعاقل من تمثل بقول كعب بن سعد الغنوي ، إذ يقول :

ولست بمبد للرجال سريرتي   ولا أنا عن أسرارهم بسؤول

وقد أطلنا في التعقيب على هذا الدرس : لأن أمناء الأسرار ـ كما يقولون ـ أقل وجودا من أمناء الأحوال ، وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار ، لأن إحراز الأموال بالأبواب والأقفال ، وإحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ، ويشيعها كلام سابق ، وحمل الأسرار أثقل من حمل الأموال ، فإن الرجل يستقل

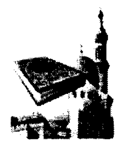
---

(1) المستطرف في كل فن مستظرف 1 / 296 منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت

بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ، ولا يستطيع كتم السر ، وإن الرجل يكون سره في قلبه : فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل الأثقال ، فإذا أذاعه استراح قلبه ، وسكن خاطره ، وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا » (1) .

ومن هنا : تكمن خطورة الأسرار ، ويثقل حفظها ، وتسهل إذاعتها .

والداعية الواعي : من يكون على قدر المسئولية ، وعلى مستوى الفهم والامتثال لهذا الدرس في حفظ السر .



(1) المستطرف في كل فن مستظرف 1 / 296 منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

الدرس: الحادي عشر

(التورية عند الضرورة)

الكناية والتورية في الإجابة على أسئلة الأعداء أو الخصوم دون التصريح ، للحفاظ على الكليات الخمس ، أو واحدة منها ـ وهي : النفس ، والدين ، والعرض ، والنسل ، والمال ـ لنفسه ، أو لغيره : أمر لا يعد كذبا ، عند الضرورة لذلك .

وعدم استعمال هذا الأسلوب - عند استشعار الحرج فيه ، أحيانا - قد يؤدى إلى ضرر أفدح منه .

وهو درس واضح في سيرة النبي ﷺ بعامة ، كما هو واضح في الدروس التي تستفاد من هجرته ، ﷺ ، على النحو التالي :

ففي البخاري . . « عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : **أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة ، وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر : شيخ يعرف ، ونبي الله ﷺ : شاب لا يعرف .**

قال : فيلقي الرجل أبا بكر ، فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك . . ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل .

قال : فيحسب الحاسب . . أنه إنما يعني الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير » . [1]

---

(1) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

وليس صمت النبي ﷺ ، وإقراره لتورية أبا بكر هذه : هي المستند الشرعي فيها فقط ، وإن كانت كافية .

بل : إن النبي ﷺ ـ كما في طبقات ابن سعد ـ كان قد قال له : « **أله الناس عني** » (1)

وهو درس جد عظيم . . حيث يبيح للمضطر ـ ويرشده إلى ـ وسيلة ينجو بها ، أو يحمي بها غيره ، من الهلاك أو الإيذاء ، وفي نفس الوقت يتيح له عدم الوقع تحت غائلة الكذب .

وليس هذا ترخصا في الدين ، أو استهانة بأحكامه ، أو تلاعبا بتعاليمه ، بل هو التشريع الذي يحفظ النفس أو الدين ، أو العرض ، أو النسل ، أو المال للمرء ذاته ، أو لغيره ، ممن تضطره الظروف والأحوال أن لا يفشي لهم سرا ، أو يذيع لهم خبرا ، إذ يقول ﷺ « **إن في المعاريض : لمندوحة عن الكذب** » (2)

بل إن الذي يستفيد من هذا الدرس ، ويستعمله ـ عند الضرورات أو النوازل ـ لا ينجو بنفسه ، أو يحمي غيره ، من ضرر محقق ، فقط : إنما يثاب على ذلك أيضا .

ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ومن كان في**

---

(1) فتح الباري 7/ 319 ط دار الكتب العلمية بيروت

(2) رواه بن عدي في الكامل ، والبيهقي في شعب الإيمان

حاجة أخيه : كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة : فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة » (1)

كل ذلك : بشرط أن لا يكون كتمان هذا السر والتورية عنه ، لا يسبب ضررا للمسلمين _ أفرادا كانوا أو جماعات _ أو لبلادهم ؛ إذ آن دفع الضرر عنهم : أولى وأوجب من قدسية كتمان السر والتورية عنه .

حيث إنه ما صار سرا ، ولا وجب التورية عنه إلا خوفا من : كيد الأعداء ، أو بطش الخصوم وإيذائهم للفرد أو للجماعة ، أو للأمة .

والمقصود من حفظ هذا السر أو التورية عنه _ كما هو معلوم _ حماية النفس أو الغير من أفراد المسلمين ، أو جماعاتهم ، أو الأمة بأسرها .

إن الدعاة إلى الله : لا بد وأن يكونوا على قدر من الوعي والنباهة ، وحضور البديهة ، وحدة الذاكرة لدرجة تجعلهم يدركون حجم الخطر ، ويقدرون على خداع عدوهم ، والإفلات من بين يديه ، أو النجاة من إيذائه ، وبطش طغيانه ، دون استعمال أسلوب الكذب الصراح إلا عند الضرورة القصوى ، التي لا تجدي فيها كناية ، ولا تنفع فيها تورية . (2)

---

(1) رواه : البخاري كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ، ومسلم : كتاب البر والصلة ، باب : تحريم الظلم ، وأبو داود : في الأدب ، والترمذي في الحدود ، وابن ماجة في الحدود

(2) : المنهج الحركي للسيرة النبوية ص 194 .

الدرس: الثاني عشر
(أهمية المخابرات.. في صفوف العدو)

إن بث العيـون والمخابرات في صفـوف أعداء المسلمين ، وخصوم الحركة الإسلامية : أمر تحتمه الظروف وطبيعة العلاقة الأبدية بين أنصار الحق من جهة وأنصار الباطل من جهة أخرى ، فضلا عن أنها معاملة بالمثل : حيث إن هؤلاء الأعداء الخصوم ، لا يسكتون عن محاولات بث عيونهم بين المسلمين ، واختراق صفوفهم ؛ لضربهم . . كسرا لشوكتهم ، ومنعا أو إعاقة لهم عن بلوغ أهدافهم ، وتحقيق غاياتهم .

فلا أقل من أن يكون المسلمون بعامة ، وأبناء الحركة بخاصة : على مستوى حماية هذه الدعوة ، وشرف تبليغها ، ورفع رايتها ، وإعلاء شأن أتباعها ، بكل الوسائل المشروعة الممكنة .

ومن هذه الوسائل : بث عيونهم ومخابراتهم في صفوف أعدائهم ، وخصومهم .

حيث إنه : لابد من التعرف مباشرة على كل أسرار العدو ومخططاته وتوقعاته ، بحيث تصل إلى القيادة أولا بأول ، فتكون المتابعة ، قائمة على خبرة بالواقع ، لا على الظن التخمين ، الذي قد يخطىء ويصيب . [1]

وهذا ما فعله النبي ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة .

---

(1) المنهج الحركي ص 190 ، 191 ، 187 ،186 ، 96 _ 198(بتصرف غير يسير) .

ففي البخاري : « . . . **ثم لحق الرسول ﷺ ، وأبو بكر ، بغار في جبل ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليال ، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ، وهو : غلام ، شاب ، ثقف ، لقن ، فيدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمرا يكتادان به ، إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك ، حين يختلط الظلام** . . » الحديث [1]

وما كان أغنى من رسول الله ﷺ عن هذا الأمر ، وهو الذي يوحي إليه ، ويكشف له ربه سبحانه عن خططهم ومخططاتهم . . ! !

ولكنه : التدريب لهذه الجماعة المؤمنة الوليدة ، التي تحيط بها سهام الأعداء من كل جانب . . ! !

ولكنه : التعليم لهذه الأمة المؤمنة ، التي سوف يتربص بها الأعداء ، وتحيط بها سهامهم ، في كل عصر ، وفي كل مصر .

ولكنه : التنبيه لأبناء الحركة الإسلامية على هذا الأمر الذي ينبغي عليها أن تعيه جيدا ، وأن لا تهمله أو تقصر فيه أبدا ، إن كانت جادة ، في أداء الأمانة ، ورفع الراية .

ولكنه : التكليف لقادة الحركة الإسلامية بدراسة هذا الأمر ، وإعطائه بالغ اهتمامها ؛ إذ كلما كانت القيادة أعلم بواقع العدو ، وأدرى بأسراره ، ولها في صفوفه من ينقل إليها كل تخطيطاته : كلما كان ذلك أنجح لها في تنفيذ خططها ومخططاتها وأنجع لها في توقي سهامه وإبطال ضرباته .

(1) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

وهذا أمر : يجب عدم إغفاله أو التهاون فيه ، في السراء والضراء ، في الصفاء والكدر ، في عظيم الأمور وصغيرها ، فقد تنقلب السراء ـ غدا أو فجأة ـ إلى ضدها ، وقد يتحول الصفاء ـ غدا أو فجأة ـ إلى عكسه ، وقد يكون صغير الأمور مقدمة إلى عظائمها ، والقائد ـ بل المؤمن ـ العاقل من لا يستهين بأي شئ لصالح دعوته .

وينبغي لمن يكلف بمثل هذه الأمور : أن يمتلك من الصفات ما يعينه على النجاح في مهمته ، وأن يؤديها تعبدا لله تعالى ، ومرضاة له سبحانه ، لا انتظارا لمغنم ، ولا طمعا في مكسب ، ولا ثأرا لشيء أصابه ،

وفي حديث البخاري : ما يوضح بعض هذه الصفات المطلوبة لهذه المهمة ، ثم يضاف إليها ما قد تدعو إليه الضرورة وتقتضيه الظروف الخاصة ، بشرط : أن لا يرتكب المكلف بهذه المهمة مخالفة شرعية ، كأن يطلع على عورات ، أو يقترف محرمات ، أو يهمل في أداء الواجبات .

ومن المهم جدا : أن لا يؤدي أحد هذه المهمة دون اختيار له وتكليف من القيادة ، وإلا صار الأمر فضولا وفوضى ، وقد يحدث لأبناء الدعوة ما لا تحمد عقباه .

ولا مانع ـ بل إنه لمن اللازم ـ أن تكون هناك ، لدى المسلمين ، وأبناء الحركة على وجه الخصوص ، دراسات جادة في هذا

الموضوع وأمثاله ، توضح : أهميته ، وأساليب ممارسته . و . . الخ على أن تعد هذه الدراسات من قبل متخصصين فيها ، عالمين بها ، وليس هذا بالمستحيل ، حيث إن هذه الدراسات تقوم بها كل الدول ، ولها مدارس كثيرة .

كما أنه لا مانع ـ بل إنه من اللازم ـ أن تكون هناك دورات دراسية وتدريبية لمن يختارون للقيام بهذه المهام ، وتتوافر فيهم مؤهلات النجاح فيها .

كما أنه لا مانع ـ بل إنه من اللازم ـ أن يقيم هؤلاء الأفراد ، وقد يوظفون ، أو . . أو . . الخ لدى هؤلاء الأعداء أو الخصوم ، لتقريبهم من مصادر المعلومات ، وأماكن صنع القرارات ، والتيسير عليهم في أداء مهمتهم .

كل ذلك : بشرط أن لا ينحرف المسلمون عامة وأبناء الحركة خاصة ، فيما تستتبعه هذه الأعمال من مخالفات شرعية ، أو ممارسات لا أخلاقية ، أو أية أمور غير ذلك ، مما هو معروف أو غير معروف ، فيما يسمى بعالم « الجاسوسية » .

هذا . .

وإن هذا الدرس لا تقتصر فائدته على الأمة أو الجماعات فقط ، بل إنه لمن الممكن أن يستفيد به الفرد ـ على شرط المحافظة على ضوابطه الشرعية ـ مع أية خصوم له ؛ رغبة فقط في الوقاية من شرهم ، والنجاة من أضرارهم ، وليس توصلا لإيذائهم ، أو النيل منهم .

الدرس : الثالث عشر

(ضوابط التصعيد)

الحركة : من سنن الحياة ، ومن طبيعة الأحياء ، والجماعة : كائن حي ، بدون حركة تتجمد ، ومن ثم تموت ، ولا تحقق غرضها ، ولا تصل لأهدافها .

والحركة في الجماعة ، والتصعيد لأبنائها في صفوفها ، هي الدماء الجديدة الحارة الدافقة التي تجري في شرايينها ، وتساعد على تمديد حياتها ، والحفاظ عليها .

ولكن لهذه الحركة نظام . ! !

ولهذا التصعيد ضوابط . ! !

ولهؤلاء الذين يصعدون شروط ومواصفات . ! !

ولذلك :

فعلى العاملين في حقل الدعوة الإسلامية بعامة ، وقادة الحركة الإسلامية بخاصة : أن يعوا جيدا أن التصعيد في صفوف الدعوة ، وحمل مهامها ، والقيام بواجباتها ، لا يكون إلا من بين من اقتنعوا بها ، وتفاعلوا معها ، وخالط حبها شغاف قلوبهم وتولد الإحساس بمتطلباتها ، وشئون إصلاحها ، وسبل إنجاحها لديهم . فهؤلاء هم الذين تنجح بهم الدعوة ، وترتقي بهم الحركة ، وليس بغيرهم يكون ذلك .

بشرط فهمهم السليم لهذا الدين ، ووعيهم الجيد بالواقع الذين يعيشون فيه ، وقدرتهم على قراءة الأحداث وإرهاصاتها ، واستعدادهم الدائم لبذل الجهد ، وأداء الأمانة ، وفوق ذلك كله ، وغيره : صلاح أنفسهم ، وطهارة وجدانهم ، وتزكية أرواحهم ، وصدق التزامهم ، وكامل ولائهم .

فهؤلاء هم الأنصار الذين بايعهم النبي ﷺ على « **بيعة النساء** » في العقبة الأولى ، لما عادوا إلى المدينة ، ما شغلتهم أيامهم وشئونهم عن هذه الدعوة ، بل إنه حينما طهرت نفوسهم ، وصدقوا مع الله في بيعتهم ، أنعم الله عليهم بميلاد الإحساس بمتطلبات هذه الدعوة لديهم ، ولذلك بحثوا بأنفسهم عن مصلحة الدعوة ، دون طلب أو إيعاز لهم بذلك من غيرهم .

يقول جابر بن عبد الله : « **لم تبق دار من دور الأنصار ، إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، ثم ائتمروا جميعا ، فقلنا حتى متى نترك رسول الله ، ﷺ ، يطوف ، ويطرد ، في جبال مكة ، ويخاف . . ؟ فرحل إليه منا سبعون رجلا . .** »[1]

هؤلاء . . ما دفعهم إلى ذلك سوى الحب لهذه الدعوة والتفاعل معها ، والرغبة الصادقة في إعلاء شأنها ، ورفع رايتها ، وحماية قائدها .

---

(1) السيرة النبوية القسم الأول ص 433 ، 437، 487

ولذلك : كان بقاؤهم _ لو حدث _ في مكانهم الذي بايعهم عليه النبي ﷺ أولا . تجميد للطاقات ، وتبديد للإمكانات ، وتضييع للجهود ، وحرمان للدعوة من أن تحمل هذه الأرواح الطاهرة ، والنفوس الذكية رايتها ، وأن تؤدي أمانتها .

وقد علمنا أفضل وأشرف قادة الدنيا بأسرها ﷺ أن نقتنص الفرصة ، ونصعد أمثال هؤلاء في صفوف الحركة ، حينما انتقل بهم ﷺ إلى بيعة أخرى ، تضعهم في موقع _ من الدعوة _ آخر ، وتحملهم من واجباتها ما هم له بأهل ، ثقلا ونفعا .

وينبغي أن يكون معلوما أن التقدم للمسئولين بما ينفع الدعوة من اقتراح ، أو نصيحة ، أو تنبيه ، أو تحذير ، ليس تطفلا ، أو تدخلا فيما لا يعنينا ، بشرط أن لا يكون حبا في مغنم ، أو هروبا من مغرم .

بل هو النصيحة ، و « الدين النصيحة : قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » [1]

وقد بين القرآن الكريم صورا من ذلك ، فيها التعليم لذلك ، ولفت الأنظار إليه .

من هذه الصور : رجل ينصح إماما من أئمة المسلمين

---

(1) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ " الدين النصيحة " ، رواه : مسلم " واللفظ له " كتاب : الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة .

وأنبيـائهم . . بدافع من نفسـه ، وأداء للأمـانة ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (1)

وهذا رجل آخر ينصح عامة الناس ، بدافع من نفسه ، وأداء للأمانة : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (2)

ولذلك : فـعلى كل مـسلم أن يبـذل النصـح ، الصـادق ، الخالص ، المهذب ، لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ، كلما وجد أمرا يحتاج ذلك ، وكلما وجد الفرصة والظروف مهيئة لذلك .

وعلى القادة والمسئولين : البحث الدائم في الصفـوف ، عمن استوى عوده ، وتكاملت مؤهلات نقله وتصعيده ، لوضع آخر ، ومكان مختلف ، ومهام جديدة ، خوفا من : تجميد

---

(1) القصص 20

(2) انظر : المجتمع العدد (1253) صفر 1418هـ ـ يونيو 1997م

الكفاءات وإهدار الطاقات ، وتفويت الفرصة على الدعوة من حسن الإفادة من أبنائها ، والوصول بهم سريعا إلى أهدافها .

هذا . .

وليكن معلوما أنه لكل مرحلة من مراحل الدعوة شروطها التي ينبغي أن تتوافر فيمن يتم توثيقه للتصعيد إليها .

وتختلف هذه الشروط باختلاف المراحل .

كما ينبغي أن يعلم جيدا ، أن وضع إنسان في مسئولية أكبر من قدراته : يؤدي إلى عرقلة العمل ، وفتور من يقوم به معه ، فضلا عن زعزعة الثقة به .

وكذلك : فإن وضع إنسان في مسئولية أقل من قدراته : يحرم الدعوة من الإفادة به ، وهي في أشد الحاجة إلى كل أخ قادر على العمل والعطاء .

كل ذلك _ وغيره _ أخذا من تصرف النبي ﷺ ، وحركته الواعية الهادفة مع أبناء الحركة ، وجنود الصف ، الذين علمهم ، وعلم بهم ، ولا يزال يعلم _ بهذا الدرس الحركي من دروس الهجرة _ أهل الدنيا كلها ، إلى آخر الزمان .

الدرس : الرابع عشر
(ضرورة التخطيط)

التخطيط لكل شئ : هو تحديد الهدف ، وتوضيح الوسائل والسبل الموصلة إليه ، والإعداد الجيد لبلوغه .

والذي يخطط جيدا : يدرس إلى جانب ذلك القدرات المطلوبة ، والإمكانات المتاحة ، للوصول إلى هذه الغاية ، وكذلك ، معرفة العقبات المتوقعة للحيلولة دون هذا الوصول ، ووضع الحلول والعلاجات لهذه العقبات .

ويختلف التخطيط لموضوع أو مشروع عنه لموضوع أو مشروع آخر ، كما يختلف التخطيط لموضوع يعني به فرد واحد عن موضوع تعني به جماعة ، عن موضوع تعني به دولة ؛ إذ لكل من هذه الثلاثة أهميته ودراساته وأهدافه .

ولكن . . لا يختلف أحد على أن كل موضوع أو مشروع لابد له من تخطيط جيد .

وهذا ما فعله النبي ﷺ في مشروع الهجرة النبوية .

فهي لم تتم ارتجالا ، ولا بين عشية أو ضحاها ، ولا بدون دراسة جادة ، وتخطيط دقيق . بل كانت الدراسة الواعية ، والتخطيط الجيد ، والإعداد المسبق لها ، بما يعد صورة من أرقى

مستويات التخطيط ، والذي ينبغي أن تعيه الحركة الإسلامية ، وأن تدرسه جيدا ، وأن تتخذه نبراسا في تحقيق أهدافها .

ولبيان بعض جوانب هذا التخطيط نقول :

(1) **كان لابد من ترك الأمانات التي كان يأتمن كفار مكة رسول الله ﷺ عليها** ، وعدم أخذها معه ، إلى المدينة ، بل كان لابد من ردها إليهم .

وكان القرار : تكليف علي بن أبي طالب بالبقاء في مكة ؛ ليقوم برد هذه الأمانات إلى أصحابها ، بعد اختفاء النبي ﷺ عنهم . وإخبار علي وحده بذلك .

(2) **كان لابد من رفيق** في هذه الرحلة الطويلة الشاقة إلى المدينة .

وكان هذا الرفيق : هو الصاحب والصديق ، والصديق أبو بكر رضي الله عنه ، وإخباره وحده ليستعد لذلك .

(3)**كان لابد من رواحل** للركوب في هذه الفرة الطويلة .

ولذلك : تم شراء الراحلتين ، وقد دفع النبي ﷺ ثمن إحداهما .

(4) **كان لابد من دليل** يقودهما في الطرق الوعرة التي سيسلكانها خلال هذه الرحلة المطاردة .

ولم يكن هناك أدرى وأخبر بهذا الطريق غير رجل من المشركين ، وجد النبي ﷺ عنده - بجانب خبرته - الأمانة على حفظ وكتمان هذا السر .

فتم الاتفاق معه على استئجاره أولا .

ودفع النبي ﷺ الراحلتين ، وسلمهما له قبل موعد الخروج .

وحدد له : الزمان ، والمكان الذي يلتقيان فيه .

(5) **كان لابد من أن ينام** أحد مكان النبي ﷺ ، وفي فراشه ، ويتغطى ببردته ، خداعا للقوم الذين يقفون على أهبة الاستعداد لقتل النبي ﷺ ، وإيهاما لهم بأنه لا يزال راقدا في فراشه .

وكان هذا الفدائي الشجاع البطل : علي بن أبي طالب رضى الله عنه وأرضاه .

(6) **بعد الخروج من مكة** . . لابد من معرفة أخبار القوم ، وماذا يفكرون فيه ؟ وماذا يخططون له ؟ حتى يتم تنفيذ الخطة ، أو التعديل فيها ، بناء على ذلك ، للنجاة من شرورهم ، والنجاح في بلوغ الهدف .

وكان صاحب هذا الدور ، لابد أن يتصف بالذكاء ، وحضور البديهة ، والقدرة على مخالطة القوم ، وفهم ما يدور بينهم ، ومن يتصف بهذا الدور ؟ إنه ابن أبي بكر .

وتم تكليفه بذلك .

(7) كان **لابد من طريقة تمحو آثار الأقدام** ، حتى لا يتتبعهما القوم ، وهم خبراء في ذلك ،

ولكن كيف يتم هذا . . ؟

إنها الأغنام . . أقوى الوسائل في إخفاء المعالم ، ومحو الآثار .

ومن لهذه الأغنام . . ؟

إنه عامر بن فهيرة .

وتم تكليفه بهذه المهمة .

(8) **المدينة في جهة الشمال من مكة** ، والمسافر من مكة إلى المدينة يأخذ الطريق في اتجاه الشمال ، وهذا ما سوف يخطر ببال الكفار ، عندما يكتشفون أن النبي ﷺ قد خرج مهاجرا ، ويطاردونه .

ولذا . . لابد من مخالفة هذا المعهود لديهم ، والمعروف إليهم ، تمويها عليهم .

فكان الاتجاه جنوبا . . ناحية اليمن ، وثم الاختفاء بغار ثور ، جنوب مكة .

(9) **لابد لهم** ، **وهم في الغار** ، من طعام يتناولونه ، كما لابد

لهم في السفر من زاد يحملونه ، فمن الذي يعد لهم الطعام ، ويهيئ لهم الزاد ، وهم رجال ، لا يجيدون ذلك .

وكانت أسماء بنت أبي بكر لهذا الدور ، الذي قامت به خير قيام .

(10) **الكفار في مكة** : سيجن جنونهم ، وستثور ثائرتهم عندما لا يجدون محمدا ﷺ في فراشه ، ليلة الاتفاق على قتله ، بل سيزدادون جنونا حينما يعلمون فراره منهم ، ونجاته من بين أيديهم ، وسيقلبون جبال مكة وشعابها وطرقها رأسا على عقب .

ولذلك : لابد من فترة كمون وسكون ، حتى ينقطع من البحث نفسهم ، وتهدأ من التعب ثائرتهم .

وكان القرار : المكوث بالغار ثلاثة أيام .

إلى غير ذلك من التفاصيل الدقيقة ، والخطط المحكمة ، والقرارات الرشيدة .

وفي هذا المذكور الكفاية لنخلص إلى الدرس الذي ينبغي أن يستفاد من هذا التخطيط الدقيق في الهجرة النبوية .

والحركة الإسلامية في مشروعها حول سيادة شرع الله في بلاد المسلمين ، دون إقصاء لها ، أو مزاحمة بمشاركة من قوانين البشر وتشريعاتهم ، إلا أن يكون ذلك القانون أو التشريع مستمدا من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ

ووسائلها إلى الوصول لتحقيق هذا المشروع هي الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة ، واتباع منهج رسول الله ﷺ في هذه الدعوة .

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

[يوسف : 108]

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (1)

أقول : والحركة الإسلامية في مشروعها هذا لابد أنها تحتاج إلى تخطيط جيد للوصول إلى هذه الغاية ، بل تحتاج إلى تجديد دائم ومراجعات شاملة لهذا التخطيط ، ودراسات له ، واستعداد جيد بموجب ذلك ، لتحقيق غرضها : استفادة من هذا الدرس النبوي الحركي في التخطيط للهجرة النبوية وخلال تنفيذها .

ولكن . . قد يقال : إذا كان هدف الحركة الإسلامية معروفا ، والوسيلة واضحة ومحددة ، فماذا يمنع من وجود التخطيط ؟

ونقول : التخطيط موجود ، ولكن الذي يمنع من التنفيذ ، هو المعوقات الكثيرة ، التي تحول بين التخطيط والتنفيذ من جهة ، وتفصل التواصل بين الوسيلة والغاية من جهة أخرى ، فتتسع ــ تبعا لذلك ــ الوسيلة وتمتد ، دون أن تصل بصاحبها إلى هدفه ، وإن اقتربت به منه في بعض الأحيان وبعض البلدان .

(1) النحل : 125 .

ولقد أصبح من المسلمات : أن كثيرا من الأنظمة في الشرق أو الغرب تعمل على وأد الحركات الإسلامية ، مما جعل كثيرا من الضربات المتتالية الموجعة ، تنزل بهذه الحركات ، وتعصف برجالها ، دون أن تتمكن الحركة أو رجالها من تفادي هذه الضربات .

وإلا . . فكيف يمكن للمسجونين أو المضطهدين ، أو المعذبين أن يخططوا وهم ليسوا أحرارا في أقوالهم ، وتحصى عليهم حركاتهم وتصرفاتهم ، ويعتقلون سنين عددا ، وتثار بينهم الفتن عن طريق بعض الذين يضعفون عن التبعات ، أو يأملون في مغنم ، أو يهربون من مغرم ، وكل ذنب جناه هؤلاء : انهم آمنوا بالله العزيز الحميد ، وسعوا مطالبين بان تكون كلمة الله هي العليا في بلاد المسلمين .

وإذا كنا نقول ذلك لمن يسألون عن التخطيط لأنهم لا يرون آثاره بأعينهم : فإننا نؤكد في ذات الوقت على أننا لا نتخذ ذلك مبررا لغياب التخطيط عن ساحة العمل ، أو بروز الارتجال والسير على غير هدى وسط الأشواك التي تلقى ـ وبسببها ـ هنا وهناك ، كما نؤكد ـ ثانيا ـ على وجود التخطيط ، وضرورة استمراره حتى مع هذه الأشواك التي تلقى هنا وهناك ، كما نؤيد ـ ثالثا ـ العاملين المخلصين الذين يطالبون بضرورة

الدراسة والتخطيط في كل أمر من أمور الحركة الإسلامية ، إفادة من هذا الدرس النبوي .

على أن يكون هذا التخطيط مبنيا على أسس علمية يضعها أصحاب الخبرات المشهود لهم بالكفاءة والمعرفة ، لتتضح معالم الطريق بين الوسيلة والغاية ؛ حتى لا يتباطأ أحد أو يبتعد عن الطريق التي ينبغي أن تقطع فيه كل يوم خطوات .

ولن يتحقق ذلك كاملا في غياب تخطيط مرحلي ، تراعى فيه : طبيعة وظروف كل مكان في بلاد المسلمين ، بحيث لا تغيب الموائمة بين هذا التخطيط وبين البيئة التي يطبق فيها تطبيقا واقعيا عمليا .

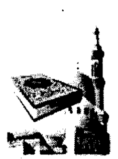
ثم يمتد هذا التخطيط المرحلي ، ليعطي صورة متكاملة لدور الحركة الإسلامية في بلاد المسلمين ، في الحاضر والمستقبل ، وبيان مدى ما يمكن أن تقدمه للناس في : معاشهم الذي ينبغي أن يقوم على النصفة والعدل والحق والعلم والعمل ، وكذلك في معادهم الذي يتوقف ثوابهم فيه على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، والتمسك بهذا الدين بإخلاص ، والجهاد في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا .

وهذه المهمة ، أي التخطيط _ كما يقول الشيخ جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين _ **منوطة بأصحاب البصائر النافذة** ،

والهمم العالية من أبناء الحركة الإسلامية ، الغيورين على دين الله ، وعلى مصالح المسلمين . [1]

فهل يتقدمون لأداء هذه الأمانة ؟

وهل يبدؤون فيها . . ؟ _ وبسرعة _ إفادة مما فعله النبي ﷺ في التخطيط لنجاح الهجرة ؟



(1) انظر : المجتمع العدد (1253) صفر 1418هـ _ يونيو 1997م

الدرس الخامس عشر

(تواضع القيادة)

قيادات الحركة : هم النموذج الأمثل ، والتطبيق العملي لمبادئها ، وما ينادون به ، ويطالبون الآخرين بالتزامه .

فإذا كانوا قدوة حسنة : كان ذلك دليلا جيدا وبرهانا واضحا على صحة المسيرة ، ونجاح الغاية ، وقرب الوصول إليها .

وإذا كانوا غير ذلك : اضطربت الحركة ، وتلاطمت بها الأمواج ، وتفرقت بأفرادها الأهواء ، وفقدت سبيل الهدى والرشاد .

يقول ﷺ : « **خيار أئمتكم : الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم وتصلون عليهم ، وشرار أئمتكم : الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنوهم ويلعنوكم** » (1)

وفي فتح الباري : يقول أبو بكر رضي الله عنه . . لمن سأله قائلا : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت عليه أئمتكم . . . " الحديث (2)

ولعل هذا أحد الأسباب الرئيسية في بقاء حركات ، ونجاح

(1) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم

(2) رواه : البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية .

استمرارها ضد معاول الهدم والإفناء ، وكذلك : في ضياع حركات ، وفشلها في القيام بمهمتها ، وأداء رسالتها .

ولذلك : كان لابد من توافر صفات خاصة فيمن تقع عليهم مسئولية القيادة ، ويناط بهم رفع ألوية الحركة ، وحمل أمانتها . ومن هذه الصفات :

تبسط القيادة ، وتواضعها ، في سلوكياتها ، وأمور حياتها الخاصة ، عن قناعة وصدق وإيمان ، وليس عن تكلف وتصنع .

حيث إن ذلك : فضلا عن أنه صورة عملية لما تؤتمن عليه ، وتنادي به من مبادئ وتعاليم . . فإنه خير عون على نجاح الدعوة ، وترابط الصف ، وإخلاص الجنود ، وسعادتهم بأداء الواجبات ، ورضاهم بتحمل الأعباء والقيام بالمشقات .

وخير قائد علمنا ذلك . . ! !

بل خير قائد فعل ذلك . . ! !

هو رسول الله ﷺ .

ففي البخاري . . « . . وطفق رسول الله ﷺ ــ بعد أن وصل المدينة ــ ينقل معهم اللبن في بنيانه - أي المسجد النبوي - ويقول : **اللهم إن الأجر أجر الآخرة . . .فارحم الأنصار والمهاجرة .** [1]

---

(1) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

إلى أن اغبر صدره ﷺ من كثرة ما حمل ونقل . . ! !

حتى دفع ذلك بعضهم إلى أن يقول :

لئن قعدنا والنبي يعمل . . . لذاك منا العمل المضلل

فصار الصحابة ينشدونها ، ويتغنون بها وهم يعملون .

وكان ﷺ : يأبى إلا أن يكون واحدا منهم ، يعمل كما يعملون ، وينشد كما ينشدون ، ويأخذ بحظه _ من ثواب الله _ كما يأخذون .

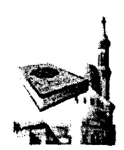
وهكذا . . كلما كان القائد قريبا من جنوده : كلما كان محبوبا لديهم ، وكلما كان بسيطا في حياته متواضعا في سلوكه : كان قدوة صالحة إليهم ، بقربه منهم : يألفونه ، وبأدبه معهم : يحبونه ، وبمشاركته أفراحهم ، ومقاسمته أتراحهم : يفتدونه . بأمره : يطيعون ، وبسلوكه : يقتدون ، وبعلمه : ينتفعون ، ولأعلام الدعوة يرفعون ، ولكلمات الله يعلون ، وبشرعه يلتزمون .

وبهذا النسيج : يتلاحم القائد مع جنوده ، ويتماسك الصف ، ويصير كالبنيان المرصوص ، وتصبح الشورى منهجا ، والقوة مكسبا ، ورهبة الأعداء مغنما .

أما إذا ترفع القائد _ وتكبر _ على جنوده ، وأفراد دعوته ،

أصبح الأمر قسرا ، والطاعة كرها وقهرا ، وساد سوء التقليد ، وتقليد السوء ، وتمزق الصف ، وتفرقت الجماعة ، وتنوسيت المبادئ ، وتأخر النصر .

ولأهمية هذا الدرس : لم ينبه عليه النبي ﷺ مشافهة ، بل مارسه عمليا ، وعاشه بنفسه بين أصحابه حتى صار واضحا لهم ، جليا لكل من يأتي من بعدهم .



الدرس : السادس عشر

(حماية القيادة)

صرف القيادات عن أهدافها ، بالترغيب أو بالترهيب ، وكذلك إبادة القيادات ؛ بالاغتيال أو بالإعدام : غاية ، يسعى إليها ، ويعمل بجد لها أعداء الإسلام ، وشانئوا الحركة الإسلامية

وهؤلاء وهؤلاء يظنون أنهم بصرف هذه القيادات ، أو إبادتها : ستموت المبادئ ، وينقرض حاملوها .

ولذلك : فهم لا يكلون ، ولا يملون من محاولات الوصول إلى هذا الهدف في كل العصور منذ القائد الأول محمد ﷺ .

ولذلك : كان وجوب حماية القيادات ، وافتداؤها بالغالي والنفيس : أمرا شرعيا ، وواجبا دينيا ، حماية للمبادئ ، وحفاظا على مسيرة الدعوة .

وهذا درس واضح كل الوضوح في هجرة النبي ﷺ .

يظهر ذلك جليا في كل هذه التدابير والاحتياطات التي تفنن فيها الأفراد الذين علموا بتفاصيل وخطط الهجرة النبوية ، والذين أحاطوها بالكتمان والسرية ، والحذر الشديد الواعي ، لحماية هذا القائد ﷺ من أن تغتاله أيدي الطغاة

خاصة : وأن هذا الأمر بات قرارا ، لكفار مكة ، لا رجعة

فيه ، بعد أن اجتمعوا في دار الندوة ، لم يتخلف أحد من ذوي الرأي والحجى منهم ، ليتشاوروا في أمره ، ﷺ . . وبعد أن قال أبو جهل : « والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم . . ؟ قال : أري أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فتيا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا» [1]

ولذلك _ وكما توضح كتب السيرة _ كان الكتمان الشديد ، والحرص الدقيق ، والتخطيط المحكم ، لتنفيذ الهجرة .

وهذه الحماية ، وهذا الافتداء : يتجلى في أعلى وأحلى صوره فيما يلي :

أ _ في نوم علي رضي الله عنه على فراش النبي ﷺ في هذه الليلة العصيبة الرهيبة التي أجمع كفار مكة فيها على قتل صاحب هذا الفراش ، وقد تقع الواقعة ، قبل أن يكتشفوا أن النائم ليس محمدا ﷺ ، وبالضرورة سوف يحدث ، فغياب المقصود بالقتل عن فراشه هذه الليلة بالذات ، ونوم آخر مكانه ، أمر لا يخطر على بال أحد منهم أو من غيرهم .

ومع ذلك : لم يرفض علي رضي الله عنه ، ولم يناقش ،

---

(1) السيرة النبوية القسم الأول ص 126

ولم يكشف عن نفسه لهم لينجو ، ولم يرتجف ، بل كان سعيدا لأن الفرصة واتته ، والأقدار قد شرفته بمناسبة يحمي فيها القائد ويفتديه بحياته .

ب ـ وفي الطريق إلى الغار : " رأى رسول الله ﷺ من أبي بكر عجبا ، رآه يسير مرة أمامه ، ومرة يسير خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن شماله .

فسأله رسول الله ﷺ : عن هذا . . ! ! ؟

فقال : يا رسول الله . . ! ! أذكر الطلب ـ أي طلبهم لك ـ فأمشي خلفك ، وأذكر الرصد ـ أي ترصدهم لك ـ فأمشي أمامك ، ومرة عن يمينك ، ومرة عن شمالك ؛ لا آمن عليك . » [1]

وهكذا : حماية ، وافتداء للقيادة من الشباب والشيوخ ، خوفا على القائد وحبا فيه ، وحرصا على الدعوة وصيانة أمرها ، وحبا في الله تعالى وإعلاء كلمته .

ج ـ ولا يقف الأمر عند حماية القيادة من القتل والاغتيال فقط ، بل حمايتها من كل مكروه ، صغر أو كبر ، قل أو كثر

يذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب : أن النبي ﷺ ، لما مشي على أطراف أصابعه ـ وهو في الطريق إلى الغار ـ لئلا

(1) البداية والنهاية 1/ 180

يظهر أثر رجليه على الأرض ، وحفيت قدماه ، ولم يصل إلى الغار حتى تقطرت دما ! ! حمله أبو بكر ـ وهو يشتد به ـ حتى أتى الغار ، فأنزله . [1]

الله أكبر ! ! لهذه الدرجة يفتدي شيوخ الحركة شبابها إذا كانوا هم القادة . . ! ! ؟

د ـ لما وصلا للغار : وأراد رسول الله ﷺ أن ينزل فيه : قال له الصديق . . مكانك حتى استبرئ لك ، فإن كان به أذى نزل بي قبلك ، ثم نزل فتحسس الغار ، فلم يجد به شيئا ، فنزل رسول الله ﷺ ، وقد بلغ منه الإعياء والتعب مبلغه ، فما إن دخلا حتى توسد الرسول ﷺ قدم أبي بكر ونام .

وما كل هذه الصور ـ وغيرها كثير ـ إلا لأنهم علموا جيدا أن اغتيال القيادة وإنهاءها ، هو هدف رئيسي بالنسبة للعدو .

* * *

وهذا درس يجب أن يعيه شباب الحركة الإسلامية ، فيحمون قادتها ، ويفتدونهم بالغالي والنفيس .

خاصة : وهم يرون « المحاولات ـ الكثيرة ـ اليائسة ، التي يقوم بها أعداء الإسلام لإنهاء الحركة الإسلامية ، عن طريق قتل قيادتها إعداما ، أو اغتيالا » . [2]

---

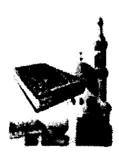
(1) مختصر سيرة الرسول للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص 167

(2) المنهج الحركى ص 190 ، 191 ، 187 ، 186 ، 96 ، 198 (بتصرف غير يسير) .

« والذي يلحظ الحاكمين وهم يواجهون الحركة الإسلامية رغم اختلاف مشاربهم ، ونوازعهم ، يجدهم يلتقون جميعا على قتل هذه القيادات .

ومما ينبغي الانتباه له : « أن أعداء الإسلام يخطئون كثيرا ، حينما يتصورون أن انتهاء القائد ، يعني انتهاء المواجهة والجهاد _ وبالرغم من خطورة هذا الأمر ، والدور الرئيسي للقيادة ، كما يقول : الأستاذ منير الغضبان _ فهو لا يصح بشكل دائم ، إنه قد يعيق الحركة . . . ولكن المعاني المتغلغلة في نفوس شباب الدعوة ، لا يمكن أن تنتهي بانتهاء القيادة » (1)

ولذلك . . ومن هذا الدرس . . نرى أن حماية القيادة ، وافتداءها : فريضة دينية ، وضرورة سياسية .



(1) المنهج الحركى ص 190 ، 191 ، 187 ، 186 ، 96 ، 198 (بتصرف غير يسير) .

الدرس: السابع عشر
(القرار للقيادة)

القرار : هو الموجه للجماعة ، والآمر الناهي فيها ، وبموجبه : تتحدد السياسات ، وتوضع البرامج ، وتنفذ الخطط ، وتتحقق الغايات ، وتتقدم الدول ، ويرتفع شأنها ، خاصة : إذا انبثق عن دراسة وتشاور ، وتولد عن خبرة ودراية ، وصدر عن حكمة وتعقل .

وبدونه : تتشعب الأهواء ، وتتفرق السبل ، وتتخبط السياسات ، وتتعطل المصالح .

ولذلك . . ! !

لابد منه أولا .

ولابد من طاعته وتنفيذه ثانيا .

والقيادة هي صاحبة القرار . . ! !

لأنها : صاحبة الرؤية الشاملة ، والإحاطة الواسعة ، والنظرة الثاقبة .

وعلى جنود الصف الاقتناع بما تراه القيادة ، والتسليم بما تقدره ، والتنفيذ الفوري لما تأمر به ، ما دام قرارها قد سلم من أمر بمعصية ، أو نهي عن معروف .

في الروض الأنف : " وبعد بيعة العقبة الثانية . . قال

رسول الله ﷺ للأنصار : **ارفضوا إلى رحالكم ، فقال له العباس بن عبادة بن نضله : والله الذي بعثك بالحق ، إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا ، فقال رسول الله ﷺ : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، فرجعنا إلى مضاجعنا ، فنمنا عليها حتى أصبحنا »** [1]

وكان هذا أمرا واضحا لدى الصحابة في البدء والمنتهى .

في البداية . . يقول له : " إن شئت لنميلن " أي أنت يا رسول الله ﷺ صاحب القرار المطاع .

وفي النهاية . . يقول : « فرجعنا إلى مضاجعنا » دون مناقشة للقرار ، أو تباطئ في تنفيذه .

وهذا واحد من أسباب ووسائل نجاح القيادة : وهو علم الجنود التام الواعي بحق القيادة في اتخاذ القرار ، ومسارعة الجنود في تنفيذ هذا القرار ، دون اعتراض عليه ، أو تشكيك فيه ، أو تأخر في تنفيذه .

وهذه الطاعة : واحدة من الفروض الشرعية ، التي أمر بها الإسلام ، وكفلها للقيادة ، وحث عليها الجنود ، وأثابهم إذا التزموا بها .

---

(1) الروض الأنف 2/ 188، 192 ط : مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة . ضبط طه عبد الرؤف سعد .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : 59]

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **من أطاعني : فقد أطاع الله ، ومن عصاني : فقد عصى الله ، ومن أطاع أميري : فقد أطاعني ، ومن عصى أميري : فقد عصاني** » [1]

وأخرجا ـ أيضا ـ عن عبد الله بن عمر ، عن النبي ﷺ قال : « **السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية : فلا سمع ولا طاعة** » [2]

وأخرجا ـ كذلك ـ عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « **من كره من أميره شيئا فليصبر ، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت : إلا مات ميتة جاهلية** » [3]

وكان ذلك كله : لأن القرار بيد القيادة ، ولو لم يكن الأمر كذلك لعمت الفوضى ، وضاعت المسئولية .

---

(1) رواه البخاري كتاب الأحكام باب قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ، مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء . . الخ .

(2) رواه : البخاري كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة . . الخ ، مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية . . الخ .

(3) رواه البخاري كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة . . الخ ، رواه : مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين . . الخ

وبسبب غياب هذا المفهوم أحيانا ، أو غياب العلم بمنزلته في الدين : يدب الغبش في النفوس ، ويخيم التخبط على العقول ، وتظهر بوادر الفتن .

وبسبب منازعة الأمر أهله أحيانا ، أو التطلع إلى مواقع الصدارة ، وأماكن القيادة : يدب الحقد في النفوس ، ويخيم الفساد على العقول ، وتظهر بوادر الفتن .

وإذا حدث هذا أو ذاك : تشتتت الفهوم ، وتبعثرت القوى ، وضعفت الجماعة ، وتمزقت الصفوف ، وتعددت الجماعات ، وكثرت الاتهامات ، وقلت الإنجازات ، وابتعد النصر .

وبذلك : ندرك السر فيما ورد عن النبي ﷺ من أنه قال : « **إذا بويع لخليفتين : فاقتلوا الآخر منهما** » (1)

وفيما ورد عنه أيضا : « **من بايع إماما فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه ، فليطعه ما استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه : فاضربوا رقبة الآخر** » (2)

وما ذلك كله . . إلا للحرص على :

---

(1) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب إذا بويع لخليفتين . والإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري .

(2) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب إذا بويع لخليفتين ، ورواه أبو داود ، واللفظ له .

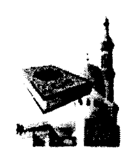
وحدة القيادة .

ووحدة القرار .

ووحدة الصف .

ووحدة الأمة .

وما من تمزق تعاني منه الآن : إلا بسبب من غياب هذا المفهوم ، أو عدم تسليم به .



الدرس : الثامن عشر
(الإفادة من المشركين)

جواز الإفادة من المشركين - ولا نقول : الاستعانة بالمشركين ؛ لأنه لا استعانة بغير الله تعالى - أمر واضح في الدروس الحركية للهجرة النبوية .

ففي البخاري : « . . . **واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر ، رجلا من بني الديل ، وهو من بني عبد بن عدى ، هاديا ، خريتا ـ والخريت ـ الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش ، فأمناه ، فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور ، بعد ثلاث ليال براحلتيهما ، صبح ثلاث** » [1]

ويلاحظ جيدا : أن هذه الاستفادة توافرت فيها أمور ينبغي أن لا تغيب عنا ، إذ هي شروط لابد من مراعاتها .

أ ــ أن يكون المستفاد منه أوبه صاحب تخصص نادر ، لا يجيده مسلم .

ب ــ أن يكون ماهرا في تخصصه ، خبيرا به .

ج ــ أن لا يكون محاربا ، أو من قوم محاربين للمسلمين ، أو مظاهرا لمحارب .

---

(1) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

د ـ أن يكون أمينا ، حيث إن المسلم المخذل أو المرجف يمنع ، فالكافر غير المؤتمن أولى بالمنع .

هـ ـ أن يكون حسن الرأي في المسلمين . [1]

ويبدو أن الطريق المتعرج الوعر غير المألوف الذي اختار النبي ﷺ السير فيه للهجرة تخفيا عن قريش وعيونهم ، ما كان يعرفه إلا القلة القليلة ، وكان عبد الله بن أريقط من هذه القلة ، التي امتاز عنها بباقي الصفات المذكورة ، لذلك وقع الاختيار عليه .

ويجرنا هذا الدرس النبوي إلى الإشارة العاجلة لأنواع العلاقات مع الكفار .

وهي على هذا النحو :

(أولا) : المولاة لهم والولاء معهم .

وهذا ممنوع منعا باتا ، ومحرم تحريما قاطعا .

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ إلى أن يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [2]

---

(1) المغني 13/ 98 . (2) المائدة 51 ـ 58

(ثانيا) : البر بهم والإحسان إليهم .

وهذا يتوقف على نوع معاملتهم للمسلمين ، وعلاقتهم بهم . .
فهم : إما مسالمين غير محاربين للمسلمين .

وتتحدد علاقة المسلمين بهم ، في ضوء قوله تعالى : ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ (1)

وإما محاربين للمسلمين .

وتتحدد علاقة المسلمين بهؤلاء ـ كذلك ـ في ضوء قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (2)

(ثالثا) : الاستعانة بهم .

وهذه ممنوعة منعا باتا ، ومحرمة تحريما قاطعا .

حيث إنه لا استعانة بغير الله تعالى من جهة .

ومن جهة أخرى . . لحديث النبي ﷺ ، الذي روته عائشة ، قالت : « **خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ، حتى إذا كان بحرة الوبرة ،**

---

(1) الممتحنة : 8

(2) الممتحنة : 9

أدركه رجل من المشركين ، كان يذكر منه جرأة ونجدة ، فسر المسلمون به ، فقال يا رسول الله ! جئت لأتبعك ، وأصيب معك ، فقال له رسول الله ﷺ : أتؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا ، قال : فارجع فلن أستعين بمشرك » .

قالت : « ثم مضى رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان بالبيداء ، أدركه ذلك الرجل ، فقال له رسول الله ﷺ : أتؤمن بالله ورسوله ؟ قال : نعم ، قال : فانطلق » (1)

وكذلك : روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن حبيب قال : « أتيت رسول الله ﷺ ، وهو يريد غزوة ، أنا ورجل من قومي ، ولم نسلم ، فقلنا : إنا لنستحي أن يشهد قومنا مشهدا لا نشهده معهم ، قال : أفأسلمتما ؟ قلنا : لا ، قال : فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ، قال : فأسلمنا ، وشهدنا معه . (2)

قال ابن المنذر : والذي ذكر غير ذلك مما قد يدل على أنه ﷺ استعان بهم ، فغير ثابت . (3)

ومما يجدر التنبيه عليه هنا : أنه إذا كانت الاستعانة

---

(1) مسلم : الجهاد ، باب كراهية الاستعانة في الغزو بكافر 3/ 1449 ، 1450 ، ورواه : الترمذي في كتاب السير ، باب ما جاء في أهل الذمة يغزون مع المسلمين . . الخ .

(2) المسند 3/ 454

(3) المغني 13/ 99 ، سبل السلام 4/ 49

بالمشركين على المشركين . . ممنوعة شرعا ، فإن الاستعانة بالمشركين على المسلمين أكد في المنع ، وأشد في الحرمة .

(رابعا) : الإفادة من المشركين .

وهذه مباحة بالشروط السابق ذكرها وقد فعلها النبي ﷺ ، على ما سبق أن بدأنا به الحديث في هذا الدرس من دروس الهجرة النبوية .

وما فعله النبي ﷺ ، من استئجاره لعبد الله بن أريقط ، المشرك ، وإفادته به ومنه : يعد درسا عظيما ، يفتح المسلمين على آفاق المعرفة ، وألوان الإفادة بأي شئ ، أو من أي مصدر كان ، ما دام ذلك بعيدا عن الإضرار بالعقيدة ، أو الانتقاص من الدين ، لأن الحكمة ضالة المؤمن ، ينشدها أنى وجدها .

وهو درس يفتح الباب للإفادة من منجزات المشركين واكتشافاتهم العلمية ، وصناعاتهم ، واختراعاتهم ، التي تساعد على عمارة الكون ، والتمتع بما فيه .

ولا يهم في هذه الحالة : من الذي أنجز أو اكتشف أو صنع ، لأن العلم _ كما يقولون _ لا جنسية له .

بشرط : أن تكون هذه الإفادة ، بعيدة عن الإضرار بالعقيدة ، وسالمة من الانتقاص بالدين ، وغير مقعدة للمسلمين عن التفوق في هذه المجالات .

وفي الترمذي عن أبي ثعلبة الخشني قال : سئل رسول الله ﷺ عن قدور المجوس ، فقال : « **انقوها غسلا واطبخوا فيها** » .

وفي رواية أخرى ، يقول فيها : أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ! ! إنا بأرض قوم أهل كتاب . . **نأكل في** آنيتهم . . ؟ قال : « **إن وجدتم غير آنيتهم ، فلا تأكلوا فيها ، فإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها** » . [1]

ويقاس عليه : التعاملات التجارية ، والتبادلات المادية ، و . . . و . . . الخ على نفس الشروط السابقة .

ومن المعلوم جيدا في هذا الموضوع : **أن لا تكون لهذا** المشرك السيادة على المسلم إطلاقا ، بل السيادة تكون للمسلم أمرا ونهيا ، بدءا وإنهاء .

والواضح من فعل النبي ﷺ : **أن هذا الحكم في حال** الضعف الشديد للمسلمين .

ومن هنا : فإنه في حال قوة المسلمين يكون العمل به **أولى** وأوجب .

---

(1) سنن الترمذي في كتاب السير ، باب ما جاء في الانتفاع بآنية المشركين وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح

الدرس: التاسع عشر

(موقفنا من الغير)

ليكن معلوما أن الناس عندنا _ نحن العاملين في حقل الدعوة _ إما غير مسلم ، وإما مسلم

فأما غير المسلم : فيقام فيه الإنصاف في حدود الشرع ، وقد بيناه بوضوح في الدرس السابق .

وأما المسلم :

أ _ فإما أنه يحمل الوجهة الإسلامية الصحيحة ، وينعم بالفهم السليم ، وينخرط في صف الحركة والدعوة إلى الله بقوله وعمله .

وهذا الصنف : هو المكسب الحقيقي للدعوة ، والدعامة القوية للحركة .

ب _ وإما أنه يحمل الوجهة الإسلامية ، ولكن على غير الفهم الصحيح الشامل للدين .

وهذا الصنف : يجب التعاون معه ، بقدر ما فيه من خير وصلاح ، مع التأكيد عليه في بيان المنهج الصحيح ، والفهم الشامل ، الواجب الإتباع ، دون تجريح للغير من الأشخاص أو الأفكار .

ج ـ وإما أنه لا يحمل الوجهة الإسلامية بالمرة ، ويحمل غيرها ، وقد يكون معاديا للوجهة الإسلامية ، أو غير معاد .

وهذا الصنف : يحتاج معاملة خاصة ، يشوبها الحذر ، ويدفع إليها الأمل .

وإذا كان الصنف الثاني ، يشجعنا بوضعه على أن نتعامل معه ، أملا في توضيح الصورة ، ونوال النتيجة الطيبة لهم وللدعوة : فإنه لا ينبغي أن يترك الصنف الثالث نهائيا ، حيث إن كل أعداء الدعوة والمناوئن لها ، ليس محكوما عليهم أزلا بدوام عدائهم لها ولأصحابها ، فسبحان مقلب القلوب .

ولذلك : علينا ونحن نتعامل مع هؤلاء أن يكون في حساباتنا وتوقعاتنا ، أن الله تعالى قد يصرف قلوبهم ، ويحول اتجاههم لمناصرة الدعوة بدلا من العداء لها ، أو على الأقل التعاطف مع أصحابها بدل التحامل عليهم .

وهذا يقتضينا : أن لا نقطع الأمل في رحمة الله ، وأن لا نسد الطريق أمام من تلمس قيادة الحركة الإسلامية الأمل فيهم أو الخير لديهم من هؤلاء .

وليس ذلك ببعيد على فضل الله تعالى فهؤلاء سحرة فرعون ، الذين كانوا من أعدي أعداء موسى عليه الصلاة والسلام

كانوا كفارا في صدر اليوم ، وهم الذين قال لهم فرعون ، استعداء ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾ وقد استجابوا للعداء ، و﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ .

هم هم الذين صاروا في وسط اليوم مسلمين ، و ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ وصمدوا أمام التهديد والوعيد ـ حينما قال لهم فرعون ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ ـ ولم يكونوا في صمودهم صامتين أو خائفين ، بل كانوا شجعانا فدائيين ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ .

هم هم الذين أصبحوا في آخر اليوم ـ لا تابعين لموسى ودعوته فقط ـ بل تحولوا إلى دعاة معه لهذا الدين الذي كانوا يكفرون به في صدر يوم الزينة هذا ، اسمعهم وهم يدعون إلى الله تعالى ، حيث يقولون : ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣) إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ

الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (1)

سبحان مقلب القلوب . . ! !

هو خالقها ، ومالكها ، ومقلبها . . ! !

وفي الحديث : " عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ ، **يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقلت : يا رسول الله ! آمنا بك ، وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : نعم . . إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء »** (2)

ولذلك : لا يستطيع أحد أن يحكم بدوام فساد أحد أو صلاحه ؛ لأن ذلك في علم الله فقط .

وما دام الأمر كذلك : فلا داعي لأن نفقد الأمل ــ في الإفادة للدعوة أو بالدعوة ــ من أي أحد ، كل ما علينا : أن نعمل ما علينا بإتقان وإخلاص لما هو مطلوب منا ، وأن ندع النتائج ومدى الاستجابة ، وتصريف القلوب لله تعالى .

---

(1) طه الآيات 63 ــ 76

(2) رواه : الترمذي كتاب القدر باب ما جاء في أن القلوب بين إصبعي الرحمن ، قال أبو عيسى : وفي الباب عن النواس بن سمعان ، وأم سلمة ، وابن عمر ، وعائشة ، وهذا حديث حسن .

وهذا ما فعله النبي ﷺ ـ في هذا الدرس العظيم من دروس الهجرة ـ مع سراقة بن مالك .

وقصته مشهورة في كتب السنة وكتب السيرة .

ومعلوم فيها ملاحقته ولحوقه برسول الله ﷺ طمعا في الجائزة ، التي رصدتها قريش لمن يقتل محمدا ﷺ ، قبل أن يصل إلى غايته .

وفيها : « . . . فدنوت منهما ، حتى إني لأسمع قراءة رسول الله ﷺ ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ثم ركضت الفرس ، فوقعت بمنخريها ، فأخرجت قداحي من كنانتي ، فضربت بها : أضره أم لا أضره ؟ فخرج لا تضره ، فأبت نفسي حتى أتبعه ، فأتيت ذلك الموضع ، فوقعت الفرس ، فاستخرجت يديه مرة أخرى ، فضربت بالقداح ـ أي مرة ثانية ـ أضره أم لا ؟ فخرج لا تضره ، فأبت نفسي ، حتى إذا كنت منه بذلك الموضع : خشيت أن يصيبني ما أصابني بأذيته ، فقلت إني أرى سيكون لك شأن فقف أكلمك ، فوقف النبي ﷺ ، فسأله أن يكتب له أمانا ، فكتب له أمانا » .

وفي رواية البخاري : « فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسي ، حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم : أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إن

قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآني ولم يسألاني ، إلا أن قال : أخف عنا ، فسألته أن يكتب لي كتاب أمان ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي في رقعة من أدم ، ثم مضى رسول الله ﷺ .

ورجع سراقة ، فجد في الطلب . فجعل يقول : قد استبرأت لكم الخبر ، قد كفيتم ما ها هنا » .

«وكان أول النهار : جاهدا عليهما ، وآخره : حارسا لهما » [1]

وفي رواية ثالثة : فالتفت أبو بكر ، فإذا هو بفارس قد لحقهم ، فقال : يا رسول الله ، هذا فارس قد لحق بنا ، فالتفت نبي الله ﷺ ، فقال : اللهم اصرعه ؛ فصرعه الفرس ، ثم قامت تحمحم ، فقال : يا نبي الله مرني بما شئت . فقال : قف مكانك ، لا تتركن أحدا يلحق بنا .

قال : فكان أول النهار جاهدا على نبي الله ﷺ ، وكان آخر النهار مسلحة له » [1]

إن سراقة قد تغير ، وغير خطته .

وما ذلك : إلا لأنه اقتنع أن هذا الرجل ﷺ صادق في دعوته ، مؤيد من أجلها ، منصور بسببها .

(1) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

ولذلك : رضي أن يذود عن رسول الله ﷺ آخر النهار ـ بعد أن كان يطارده في أوله ـ وصار يصرف الناس عن ملاحقته في هذا الطريق الذي يسير فيه .

واللافت للنظر : أن النبي ﷺ لم يقتله ، وكان يستطيع للعجز الذي أصاب سراقة وفرسه ـ بل لم ينهره أو يعنفه ، أو يكذبه في صدق تحوله ، أو يرفض الإفادة منه وبه : إنما كان الأمر عكس ذلك تماما ، حيث اطمأن إليه ، وطلب منه أن يخف عنهما ، وذلك : بإتمام خطته في البحث عنهما من باب التعمية والتضليل على الكفار .

والملاحظ : أنه إذا كان سحرة فرعون قد أسلموا في يومهم وأفادت منهم وبهم الدعوة : فإن سراقة لم يسلم في يومه ــ بل ظل على شركه ــ ومع ذلك أفادت منه وبه الدعوة .

وهذا الدرس العظيم من دروس الهجرة : يقتضينا أن نقف عنده بعض الشيء لنعي هذه الأمور : [1]

أولا : بإمكان الحركة الإسلامية ـ إفادة من هذا الدرس ـ أن تأخذ من صفوف أعدائها من تتوافر القناعة عنده بانتصارها ، ليتعامل معها ، ويناصرها ، بشرط :

---

(1) المنهج الحركي ص 190 ، 191 ، 187 ، 186 ، 96 ، 198 (بتصرف غير يسير) .

أ ـ توافر القدرة على تحديد الصديق من العدو في صفوف الكفار ، والقدرة على تحديد من يرجى منه النفع في صفوف الأعداء .

ب ـ أن يكون تقدير الأمر ـ في ذلك ـ للقيادة ، من خلال تعاملها ، أو فهمها لهذا أو ذاك ، أو من خلال من ترشحه القيادة للقيام بهذه المهمة .

إن المنطق الظاهري يقتضي قتل سراقة بن مالك لأنه قد يدل عليهما ، خاصة وأنه لم يسلم بعد ، ولكن تقدير رسول الله ﷺ لشخصه : أنه صادق الولاء لهما ، وأنه تخلى عن عدائه لهذه الحركة ، أمام هذه المعجزات .

ثانيا : لا ينبغي أن يكون الحكم على الرجل أو الفئة من الناس من خلال الماضي القريب أو البعيد في عدائهم للإسلام .

فمناط الأمر : هو الثقة بتغير هذا الرجل ، أو هذه الفئة ، مهما كان ماضيه في الحرب ضد الإسلام .

ولأن هذا الحكم للقيادة : فلها ـ من خلال تعاملها ، أو فهمها مع هؤلاء الناس ـ الاجتهاد الأوفى في هذا الموضوع .

وإذا كان لرسول الله ﷺ هذا الحكم بموجب الوحي ؛ ولذا لا يخطئ ، لأنه لا ينطق عن الهوى : فليس أمام قيادة الحركة الإسلامية سوى الاجتهاد في هذا الأمر .

ولذا : قد تخطئ القيادة في هذا الأمر وقد تصيب .

فإذا أصابت : فبها ونعمت .

وإذا أخطأت _ مثلا _ فلا غضاضة في ذلك ، ولا داعي لأن تقيم القاعدة الدنيا عليها لهذا الخطأ ، وحسبها أنها اجتهدت قدر طاقتها لصالح الدعوة .

إذ ينبغي أن يكون واضحا : أن الحركة الإسلامية في مسيرتها لإقامة دولة الإسلام ، قد تضطر إلى أن تتحالف مع عدو قريب ، وتتعاون معه ، بل تطلب منه جزءا من المناصرة جليلا أو يسيرا ، إذا اطمأنت إليه ، دون تفويت شئ من الدين ، أو ترخص في وسيلة : غير مشروعة .

وميزان هذا الاطمئنان : هو مدى ثقة هذا العدو بقوة الحركة الإسلامية .

ولذلك : فما على القيادة إلا أن تبذل الجهد في التأكد من هذه الثقة ، ولا شئ عليها بعد ذلك ، أصابت التقدير أو أخطأته

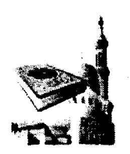
ثالثا : إن سلوك الأعداء ، ومواقفهم من الحركة الإسلامية يجعل لدى الحركة حرية التعامل معهم من خلال المواقف ، بحيث يكون الأمر في النهاية لصالح الإسلام ودولته .

فهذا رسول الله ﷺ : أعطى الأمان لسراقة بناء على : فهمه له ، وتقديره لموقفه ، وثقته في تغيره ، وقد أعلن سراقة

مناصرته وولاءه ، ونفذ ما أعلنه والتزم به بناء على هذا الأمان .

ولذا : فالقيادة تستطيع أن تهادن وتؤمن وتستفيد بمن تشاء وممن تشاء ، بناء على تقديرها لهؤلاء الناس ، دون قيد لها ، أو حجر عليها .

وكم نتمنى للقاعدة الإسلامية الصلبة أن تكون عونا لقيادتها على هذا التحرك _ إفادة من هذا الدرس _ لا أن توجه لها سهام النقد والتجريح ، والاتهام في وعيها وحسن قيادتها على أقل الأحوال ، وقد يصل الاتهام إلى دينها في أغلب الأحوال .



الدرس : العشرون
(ضرورة الشجاعة
في مواجهة الظلم والظالمين)

طريق الدعوة : ليس مفروشا بالورود ، وليست بالضرورة كلها أشواك .

ولكن على من يسير فيها : أن يتوقع ـ وأن يتحمل ـ أشواكها ، أملا في التمتع بورودها ورياحينها في الدنيا ، أو في الآخرة ، أو فيهما .

وعلى قدر الغاية : تهون الوسائل ، وتخف المشاق ؛ بل تستعذب الآلام . . ! !

ولذلك : « **حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات** » (1)

ومرضاة الله تعالى : أغلى الغايات ، وأعلى المقاصد ، ويهون في سبيلها كل غال ونفيس .

وقد فهم ذلك المسلمون الأوائل ، حتى النساء منهم ، فتحملوا المشاق ، واستهانوا بالآلام ، بل واجهوها بشجاعة فائقة

---

(1) رواه : مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ورواه أيضا : أبو داود في كتاب السنة ، والترمذي في كتاب الجنة ، والنسائي في الإيمان ، الدارمي في الرقاق ، ورواه الإمام أحمد في مسنده .

وهذا واضح في الكثير من تفاصيل أحداث الهجرة النبوية . . ! !
ولكن نأخذ مثالا واحدا من هذه الأحداث .

« **قالت أسماء رضي الله عنها : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر ، أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام . . فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر . . ؟ فقلت : لا أدري __ والله __ أين أبي ؟ فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشا خبيثا ـ فلطم خدي ، لطمة ، طرح منها قرطي** »[1]

فرعون عصره : أبو جهل ، وسط حاشية من الطغاة والزبانية ، يذهبون __ في ثورتهم العارمة ، وغضبهم الجارف __ إلى امرأة وحيدة ، حامل ، يهددونها ، ويرهبونها ، ويحاولون معرفة مكان النبي ﷺ منها ، دون سؤال عنه ـ في خبث ـ صراحة ، بل السؤال عن أبيها ، ولكنها كانت أذكى منهم ، بل كانت على مستوى المسئولية ، وإدراك الأحداث ، وتتداعياتها ، وخطورة التهاون في أية معلومة تعرفها . . ولذلك : لم ترتجف ، ولم تخف ، ولم تتلجلج ، ولم تثرثر ، بل كانت دقيقة في إجابتها ، موجزة في حديثها ، مما دفع الطاغية لأن يستعمل ـ شأن الطغاة حينما يعجزون أمام الحق ، ويتصاغرون أمام أهله ـ بطشه ، وجبروته ، وتعذيبه ، حيث رفع يده ، وهو يرغي ويزبد ، ويسب ويلعن ـ لعنه الله ـ ولطم خدها ، بيده الآثمة ، لطمة قاسية ،

(1) السيرة النبوية القسم ص 433 ، 437 ، 487 .

أطاحت ـــ من شدتها ـــ قرط هذه السيدة الشجاعة المجاهدة .

وكان فعل هذا الفرعون : دليلا لكل من أتى بعده على مر العصور من الفراعين ، الذين صاروا يعذبون المسلمات القانتات التائبات العابدات وقد يأخذونهن ـــ مع أطفالهن الصغار ـــ رهائن ، كالأسيرات .

بل كان فعله ، وأضرابه من الطغاة ، مع المسلمين الأوائل : هو المنهاج الذي سار عليه كل من عذب ـــ ويعذب ـــ من يعملون لرفع راية الإسلام ، وإعلاء شأنه ، وإسعاد أهله ، في كل عصر ، وفي أي مصر .

ولكن . . ! !

من فضل الله تعالى على أصحاب الحق ، وحماة الإسلام : أن من على الكثير منهم بالقدرة على مواجهة الباطل ، ومقارعة أهله ، ومواجهة الطغاة ، وتحمل أذاهم ، دونما جزع ، أو نكوص عن مبادئهم التي آمنوا بها .

وعلى أبناء الحركة الإسلامية ، رجالا ونساء : أن يدركوا جيدا :

أن الابتلاء . . سنة الله تعالى لأصحاب الدعوات ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾

[العنكبوت : 1، 2]

وأن هذا الابتلاء . . قد يصل إلى أقصى درجاته ، مع بعض الناس ، أو في بعض البيئات ، أو في بعض العصور : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ (1)

وأن الحرب بين أهل الحق وأهل الباطل لن يهدأ لها أوار ، ما دام للحق أنصار يؤمنون به ، ويدافعون عنه .

وأن المؤمن في مواجهته للباطل وأهله : يثق في نوال واحدة من اثنتين ، النصر أو الشهادة .

وأن المؤمن يعتقد جازما : أنه لكل أجل كتاب ، وأن كل ما يحدث له ، قدره الله تعالى .

ولذلك : فهو يواجه الطغاة _ بهذا الرصيد الإيماني وغيره _ ليرفع راية الدعوة ، ويعلي كلمة الحق .

وعلى أبناء الحركة الإسلامية ، رجالا ونساء ، بناء على هذا : أن يكونوا أقوياء بما معهم من الحق ، في مواجهة الظلم ، وكبح جماح الظالمين ، بثباتهم أولا على الحق ، واستمرارهم في العمل به ، والدعوة بالحسنى إليه ، والتذرع والتسلح بالصبر

---

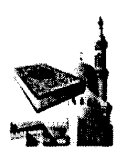
(1) البقرة : 214

الجميل ، فيما قد يتعرضون له _ بعلم الله _ من صور هذا الظلم .

وليكن معلوما : أن الباطل ضعيف ، وأن أهله جبناء ، سرعان ما يتصاغرون أمام الحق وأهله ، ولو لم يظهر منهم ذلك

وهذا واضح في موقف أبي جهل من شجاعة السيدة أسماء وثباتها .

وهو واضح _ كذلك _ في أضرابه ، وكل من أتى بعده ، أمام شجاعة أهل الدعوة ، وصبرهم على ما يتعرضون له وثباتهم على مبادئهم التي يؤمنون بها ، ويعملون لها .



الدرس : الحادي والعشرون
(شرعية الأعمال الفدائية)

ليست الشجاعة التي سبق وأن تحدثنا عنها في الدرس السابق : كلا ما نظريا .

بل هي واقع عملي ، يتحلى به ، ويشرف باكتسابه أصحاب الدعوات .

ولهذه الشجاعة من الصور : الكثير والكثير .

ومن أعلى هذه الصور وأشرفها : الأعمال الفدائية ، التي تتطلبها الدعوات ، وتقتضيها الضرورات ، ويأذن بها الشارع ، ويعد بالثواب عليها .

وبيان ذلك :

أنه لو لم يكن هناك سبيل لحماية : الدين ، أو العرض ، أو النسل ، أو المال ، أو الدفاع عن ذلك ، إلا بافتدائه بذات النفس : كان ذلك عملا مشروعا .

وهذا ما فعل بعضه سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حينما بات ليلته راقدا في فراش الرسول ﷺ ، وهو يعلم يقينا ــ أو يغلب على ظنه ظنا راجحا ــ أنهم سوف يقتلونه ، اعتقادا منهم أنهم يقتلون محمدا ﷺ

لا يشك أحد في أن عليا كان يعلم بالظروف التي تمر بها الدعوة ، وبالشر الذي يبيته الكفار للنبي ﷺ بصفة عامة .

كما أنه لا يشك أحد في أنه كان يعلم أنهم سوف يهجمون عليه هجمة رجل واحد ، فيقتلونه ، إما بسبب غرابة التصرف وهو نومه ــ على غير العادة ــ في فراش النبي ﷺ ، وإما انتقاما منه ، لما فعل .

ومع ذلك : نام في هذا المكان الخطير ، وفي هذه الظروف العصيبة ، وبين يدي هؤلاء الأعداء الأشداء . . ! !

نام . . ليفتدي الرسول عليه الصلاة والسلام بنفسه . . ! !

نام . . ليفتدي هذه الدعوة بروحه . . ! !

نام . . ليقدم القدوة لشباب الإسلام في البطولة ، والشجاعة والفدائية .

نعم . . نام بإقرار النبي ﷺ وموافقته ، بل بطلبه ﷺ منه ذلك .

نام . . ليصير الفداء شرعيا .

ولذا . . لا مجال لأحد في إنكار شرعية الأعمال الفدائية ، للدفاع عن النفس أو حمايتها ، للدفاع عن الدين أو حمايته ، للدفاع عن العرض أو حمايته ، للدفاع عن الأهل أو حمايتهم ، للدفاع عن المال أو حمايته ، للدفاع عن الأوطان أو حمايتها .

وهؤلاء الفدائيون ـ على هذا النحو ـ شهداء إن قتلوا في هذه الحالة .

يقول عليه الصلاة والسلام : " فيما رواه الإمام أحمد في مسنده ــ عن عبد الله بن عمرو بن العاص : « **ما من مسلم يظلم بمظلمة ، فيقاتل فيقتل : إلا قتل شهيدا** » [1]

ولا ينبغي أن يقال عن هؤلاء الفدائيين : إنهم انتحاريون . . فهذا تحريف للكلم عن مواضعه ، وتزييف على العقول ، وفرق كبير بين الأعمال الفدائية التي تكون للإحياء ، أي إحياء النفس عند الله تعالى بحفاظها على الدين أو العرض . أو غير ذلك مما ناضلت من أجله ، ودفعت روحها ثمنا لإبقائه وإحيائه ، مرضاة لله تعالى ، وبين الأعمال الانتحارية التي تكون تخلصا من الحياة ، وإهلاكا لنفس خلقها الله تعالى دون موافقة لشرعه ، وإذن منه سبحانه .

ومن هنا : لا ينبغي السكوت على حق يستلب ، أو على عرض يغتصب ، أو أرض تحتل ، أو دين تنتهك حرماته . بل لابد من الدفاع عن كل ذلك ، بل ــ من البدء ــ حماية كل ذلك

وقد افترض الله على عباده المؤمنين هذا ، بما يحقق الغرض ، ويؤدي إلى النجاح فيه ، ولو كان بالأعمال الفدائية التي تهلك فيها النفس ، وتضيع فيها الروح .

---

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن العاص 2/ 205 .

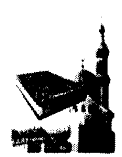
﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : 111]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف : 11]

وقد امتثل النبي ﷺ لهذا الأمر ، وقدم القدوة الحسنة الشجاعة الفدائية بنفسه ، في حضوره الغزوات ، وجهاده فيها ، وهو يعلم يقينا أن الكفار يقصدونه قصدا ، ولا يريدون سواه .

كما إمتثل على رضى الله عنه ، لهذا الأمر الإلهي ، التكليفى ، التشريفى ، النبوي ، له ، بهذا العمل الفدائي ليلة خروج النبي ﷺ من بيته للهجرة .

وهو درس من دروس الهجرة النبوية : يجب أن يكون ماثلا في الأذهان ، لمن أراد حماية الدين والأوطان .



الدرس : الثاني والعشرون
(أهمية دور المرأة المسلمة)

المرأة : نصف المجتمع ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴾
[النجم : 45]

ويقول سبحانه كذلك ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴾ [القيامة : 26-29]

وهي هدية الله تعالى _ قدمها على غيرها _ لمن يشاء ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى : 49]

وهي : باب من أبواب الجنة إذا أحسن إليها ، وبولغ في إكرامها ، « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن ، واتقى الله فيهن : فله الجنة » (1)

بل إن الجنة نفسها : تحت قدميها ، يقول ﷺ : « **الجنة تحت أقدام الأمهات** » (2)

---

(1) رواه : الترمذي كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات ، ورواه أيضا : أبو داود في كتاب الأدب ، وابن ماجة في الأدب ، والإمام أحمد في مسنده .

(2) اخرجه : أحمد والنسائي ، وابن ماجة ، والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح الإسناد ، انظر " المقاصد الحسنة " حرف : الجيم .

وهي : صانعة الأجيال ، ومربية الأبطال ،

الأم مدرسة إذا أعددتها .·. أعددت شعبا طيب الأعراق

ولذلك . . ! !

ففي طهارتها : طهارة المجتمع ونظافته .

وفي الإحسان إليها : سعادة المجتمع وبهجته .

وفي تعليمها : وعي المجتمع ورقيه .

وفي حسن تربيتها : نجاح المجتمع وفلاحه .

ومن هنا . . يجب الاهتمام بها ، وعدم الإهمال لها ، أو التقليل من شأنها ، أو الإغفال لدورها ، أو الإهدار لجهودها .

وإذا كان ذلك بصفة عامة : فهو بالنسبة لها في مجال الدعوة إلى الله تعالى ، ونشر هذا الدين ، ونصرته ، بصفة خاصة ؛ أكد وأولى وأوجب .

نستفيد ذلك من الهجرة على النحو التالي :

أ ـ فهي التي كانت على مستوى المسئولية ، والقدرة على كتمان السر ، والفوز بتزكية أبي بكر لها أمام رسول الله ﷺ في معرفة أمر خطير ، حجب عن كثير من الرجال ، حينما طلب النبي ﷺ من أبي بكر إخراجهما .

ب ـ وهي التي كانت على مستوى المسئولية ، والقدرة على التمويه عن جدها ، حينما وضعت حجارة في حائط بالبيت وغطتها ، وأوهمته أنها أموالا تركها لهم أبوهم ، أبو بكر

، قبل هجرته ، وذلك حتى يطمئن جدها عليهم في حال غياب أبي بكر عنهم ، وهي تقول _ في نفسها _ والله ما ترك لنا شيئا ، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك .[1]

ج _ وهي التي كانت على مستوى المسئولية ، والقدرة على الصمود في مواجهة بطش «فرعون» عصرهم ، أبي جهل حينما جاء ليعرف منها مكان المهاجرين ، فأنكرت معرفتها ، وتأبت على جبروته ، ولم تخش ظلمه وطغيانه ؛ مما أغضبه ، ودفعه لأن يلطمها على وجهها الشريف ، وخلف من بعده خلف اتبعوه ، واقتدوا به في تعذيب النساء المسلمات الصالحات القانتات الصامدات .

د _ وهي التي كانت على مستوى المسئولية ، والقدرة على التضحية وتحمل المشاق ، حينما ذهبت للنبي ﷺ وأبيها بالغار مع بعد الطريق ، ومشقة المشوار ، وخطورة الحركة إلى هذا المكان ، حاملة لهما سفرتهما ، خلال رحلتهما ، دون خوف ، من اكتشاف لأمرها ، أو اعتقال تتعرض له ، أو تعذيب ينالها ، وهي تدرك جيدا أن بعض ذلك _ بل كله _ محتمل جدا .

هـ _ وهي التي كانت على مستوى المسئولية ، والقدرة على حسن التصرف ، وسرعة البديهة ، حينما لم تجد ما تعلق به السفرة في الراحلة ، إذ شقت نطاقها ، وربطت السفرة بنصف ، وانتطقت بالأخر ، ولذا سميت بذات النطاقين .

و _ وهي التي كانت على مستوى المسئولية ، والقدرة على

---

(1) مسند الإمام أحمد 6/ 350 ، سيرة ابن هشام _ القسم الأول ص 488

الحركة والسفر الشاق المضني من المدينة إلى مكة لملاقاة الرسول ﷺ ، في بيعة العقبة .

كما حدثت من السيدتين العظيمتين " أم عمارة " ، " أم منيع "

ز ــ وهي التي كانت على مستوى المسئولية ، والقدرة على الحركة السرية ، والتخفي التام ، والتسلل كالقطا من رحال القوم في جنح الليل مع رجال من قومها للقاء الحبيب ﷺ ، ومبايعته في بيعة العقبة ، بمنى .

ومما ينبغي ملاحظته جيدا : أن السيدة أسماء بنت أبي بكر ، لم تكن هي المرأة الوحيدة في المسلمات ــ آنئذ ــ هي المهيأة لذلك ، أو المستعدة ، أو المضحية ، لهذا العمل ، بل كان هناك الكثير والكثير ، ولكن لظروف السرية التي أحاطت بالهجرة ، لم يكتب هذا الشرف ــ بل لم يجلب هذا الشرف ــ لواحدة من بنات حواء إلا لهذه السيدة العظيمة ، التي رفعت قدر المرأة ومكانتها عاليا .

وهي نفس الملحوظة بالنسبة لهاتين السيدتين ، أم عمارة ، وأم منيع .

ولذلك ، ومن هذا الدرس : علينا أن نعيد النظر في علاقة المرأة بالدعوة الإسلامية ، وموقفها منها ، ودورها فيها ، بشرط : وضوح الفرق بين واجباتها وواجبات الرجال ، وبين ما يناط بها وما يناط بالرجال ، وما يطلب منها وما يطلب من الرجال ، وما تختص هي به ، وما لا يقوم به إلا الرجال ، على ضوء ما يمليه

التشريع الإسلامي في هذا الخصوص ، وما يتطلبه واقع الدعوة الإسلامية ـ تحت هذا الإطار ، وهذا الحصار ـ في هذا العصر .

بدلا من هذا الإغفال ، وهذا الإهمال ، الذي يؤدي بدوره إلى ضياع فرص للدعوة كثيرة ، وإلى تفويت منافع على المجتمع المسلم ـ رجالا ونساء ـ كبيرة .

فليست المرأة كالرجل ـ كما يقول منافقوها ـ سواء بسواء ، حتى تقوم بكل شئ ، وتمارس كل شئ ، وبالتالي تفشل في كل شئ ، أو على الأقل في أهم شئ ، وهو دورها الذي خلقت له .

وليست المرأة كما مهملا ، حتى تبعد عن كل شئ ، ولا تمارس ـ فيما يخص الدعوة ـ أي شئ ، وبالتالي نفشل نحن في الإفادة من أعز شئ ، وهو نصف المجتمع .

وعلى الحركة الإسلامية أن تسارع في فتح ملف " المرأة المسلمة " ودراسته جيدا ، في ضوء ما يكشفه الدين ، وتقدمه النماذج الإسلامية الرائدة ، وليس في غبش ما قيده الواقع مما أطلقه الدين ، أو أطلقه الواقع مما قيده الدين .

وذلك . . حتى تستفيد المرأة المسلمة ، ـ ونستفيد من المرأة المسلمة ـ في ظلال ديننا السمح الحنيف .

وإلا فستظل الجمعيات العالمية ، المشبوهة وغير المشبوهة تلعب بعواطف المرأة ، وتدغدغ أحاسيسها بدعوات : ظاهرها الرحمة ، وباطنها من قبله الدمار والعذاب .

درس الختام

عزيزي القارئ . . .

هذه جولتي ـ قدر طاقتي ـ في بعض جنبات حادث وحديث الهجرة النبوية .

وما مر فيها : بعض مما فتح الله به علي من الدروس الكثيرة الغنية العظيمة ، التي تذخر بها هذه الهجرة الشريفة .

فإن كنت قد قاربت الإصابة فيها ، والإفادة منها وبها : فهذا فضل من الله تعالى ، أشرف به ، وأسبح بحمده دوما شكرا عليه .

وإن كانت الأخرى : فأسأل الله تعالى أن يغفر لي جرأتي على محاولة لست لها بأهل ، وعزائي : أني أخلصت القصد ، وبذلت الجهد .

ولكن . . ! !

ما فائدة ما كتبنا ، وما سطرنا ـ وكذلك ما يكتب غيرنا ، وهو كثير وجليل ـ إن ظل حبرا على ورق ، ودروسا حبيسة السطور والصدور . . ؟ وما فائدة ذلك وغيره : إن ظل واقعنا في واد ، وحادث وحديث ودروس الهجرة في واد آخر ، لا يعمل بها أحد ، ولا يعلم بشيء من ذلك أحد ، إلا في المناسبات والذكريات . . ؟

بل ما فائدة ذلك وغيره : ما دمنا بعيدين عن الانتساب إلى هذا الحادث العظيم ، الذي انتبه إلى ربط أمة الإسلام وأمجادها به خليفة المسلمين الراشد الثاني عمر بن الخطاب ، حينما جعله بداية

التاريخ ، [1] وبدء الميلاد لخير أمة أخرجت للناس ؛ تنبيها على ميلاد دولة الإسلام على أرض الناس ، وقيام هذا النظام في دنياهم ، وعلى أن وجود هذه الأمة مرتبط باستمرار وجود هذه الدولة ، وأن قوتها ووحدتها وعزها ، مرتبط ذلك كله ، بالالتزام بهذا النظام . ؟

هذا التاريخ الهجري : الذي يربطنا بجذورنا _ ومن لا ماضي له : لا مستقبل له _ ويحفظ لنا تاريخنا ، ويمتلىء بغالي وعزيز ذكرياتنا ، بل يحي وينظم عباداتنا ومعاملاتنا ، ويوقظ مشاعرنا ، ويربطنا بخالقنا . ؟

والعجيب . . ! ! أننا نتركه إلى تاريخ لقيط ، لا علاقة له بنا ، ولا علاقة لنا به ، ولا نعرف له أصلا ولا فصلا ، يقتلعنا من جذورنا ، وينسينا آباءنا وأجدادنا ، ويبعدنا عن أيامنا وأمجادنا . . ؟

وبعد . . ! !

فهل تحيل الحركة الإسلامية هذه الدروس من الهجرة النبوية _ وهي أكثر مما ذكرنا _ إلى واقع . . ؟

وهل تعمل جاهدة على ربط هذه الأمة بتاريخها الحقيقي . . ؟

أنا أعلم يقينا أن الحرب ضدها أصلا _ وستكون ضد بلوغها أية أهداف _ مستعرة وشديدة .

ولكن : من لتحقيق ذلك ، وغيره _ بإذن الله تعالى _ في هذا العالم اللاهث في ذنوبه ، الغارق في أوحاله . . سواها . ؟

أضرع إلى الله تعالى : أن يوفقها إلى ذلك ، وأن يوفقها في ذلك ، فهو وحده سبحانه : ولى ذلك ، والقادر عليه .

(1) انظر : فتح الباري 7/ 342 .

الفهرس